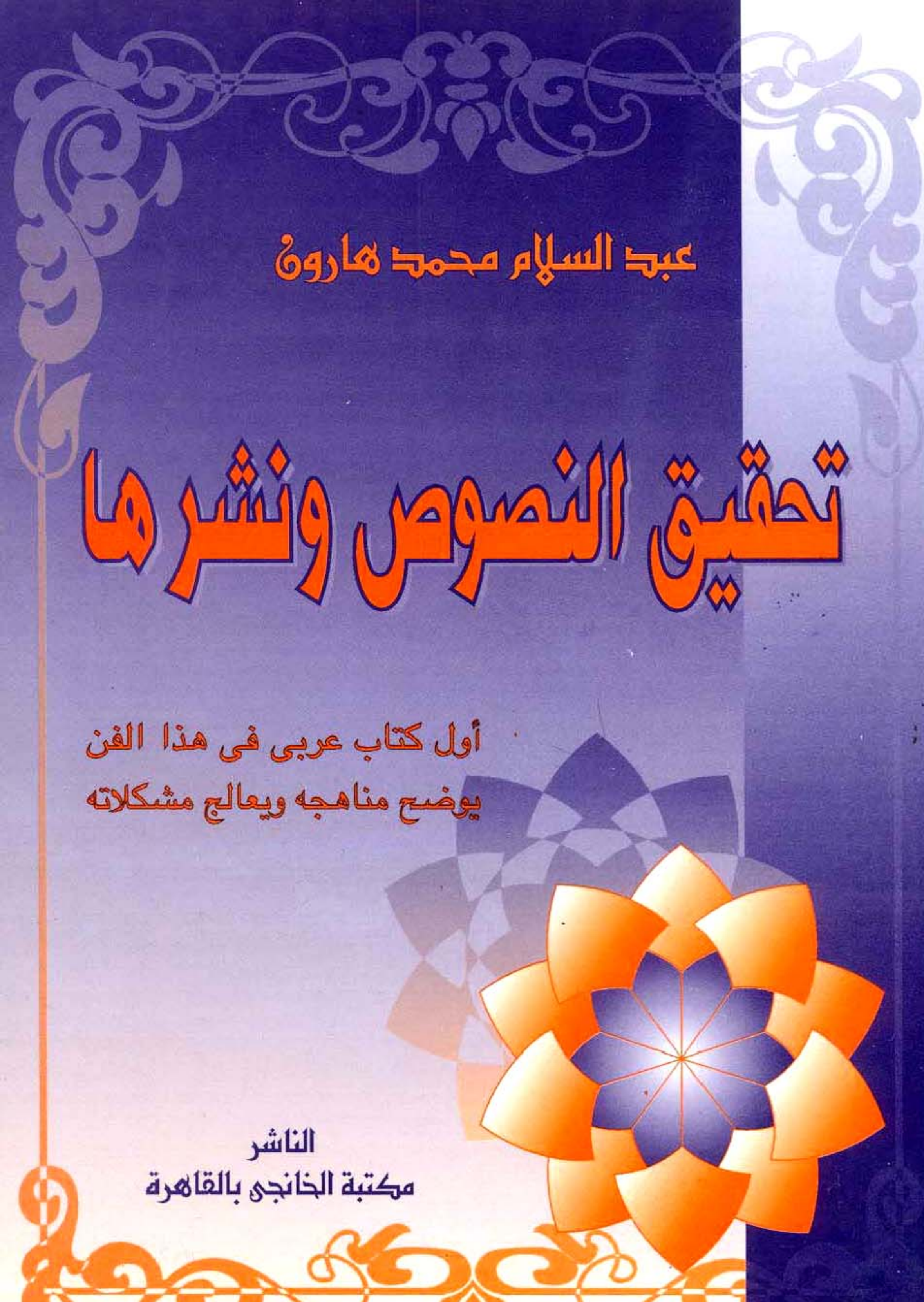

عبد السلام محمد هارون
تحقيق النصوص ونشرها
أول كتاب عربى فى هذا الفن
يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته
الناشر
مكتبة الخانجى بالقاهرة

عبد السلام محمد هارون

تحقيق النصوص ونشرها

أول كتاب عربى فى هذا الفن
يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته

الطبعة السابعة
١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م
تمتاز بإضافات وتنقيحات ونماذج جديدة

الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة

صف هذا الكتاب بمكتبة ومطبعة الخانجى

ص . ب / ١٣٧٥ بالقاهرة

رقم الإيداع : ٩٨/١٩٩٦

الترقيم الدولى I.S.B.N

977 - 5046 - 45 - 9

مطبعة المدنى المؤسسة السعودية بمصر

٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٤٨٢٧٨٥١

إهـــداء

إلى ذكرَى هَؤُلاء العُلماء المحقِّقِين
أحمد تيمور بَاشا
أحمد زَكى بَاشا
مُحمد مَحمود الشّنقِيطيّ
كَانوا سَدَنَة هذه الثَّقافــة العربـــيَّة الخالِدة
وعَاشُوا حَياتهم في سَبيل صَوْنها ورِعَايتَها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا التراث الضخم الذى آل إلينا من أسلافنا صانعى الثقافة الإسلامية العربية ، جدير بأن نقف أمامه وقفة الإكبار والإجلال ، ثم نسمو برءوسنا فى اعتزاز وشعور صادق بالفخر والغبطة والكبرياء .

إن هذه الصيحات التى يرددها دعاة الاستعمار الثقافى يبغون بها أن ننبذ هذا التراث ونطرحه وراءنا ظهريًا ، صيحة فى وادٍ . وكم لهم من محاولات يائسة يدورون بها ذات اليمين وذات الشمال ، كى يهدموا هذا الصّرح . ولكن تلك المحاولات لم تجد لها صدى إلا عند من أمكنهم أن يُضفوا على أنفسهم ظل الاستعباد الثقافى ، من ضعاف القلوب ، وأرقاء التفكير .

حاولوا أن يقضوا على الكتابة العربية ليقطعوا ما بين حاضر العرب وماضيهم وألحوا فى ذلك إلحاحًا متواصلاً فباءوا من بعد ذلك بالفشل . وجهدوا أن يحاربوا اللغة الفصيحة فنادَوا أن نَدَع أهم خصيصة من خصائص العربية فنلغىَ إعراب الكلمات لأن ذلك عبء ناءت به - فيما يزعمون - بعد القرون قرون ! حاولوا ذلك فعادوا فى خزى تَعلوهم الخيبة !

أرادونا على أن نتخلص من مقاييس اللغة ومعاييرها فنقولها فوضى بلا نظام ، فلم يستطيعوا أن يقسرونا على ذلك . وهم فيما بين ذلك يحاولون أن يضَعَوا من ثقتنا فى هذا التراث الضخم ، فلا يزالون يوجِّهون إليه المطاعن والمثالب ، ويهوِّنون من شأنه تهوينًا .

إن كل فكرة علمية جديرة بالاحترام ، ولكن الفكرة المغرضة التى يبعثها الشر أو المنفعة الذاتية الصرفة ، فكرة لا تستحق الاحترام ، بل يجب مناهضتها والقيام فى وجهها . أرادوا كثيرًا فسمعنا وقرأنا كثيرًا ، ولكن ثقافتنا الإسلامية العربية ليست من الهُون بحيث تحنى الرأس لأمثال هذا الضعف المتخاذل . فالشكر الصادق لهؤلاء القوم الذين أيقظوا فينا ذلك الشعور بالعزة ، ووجّهونا أن نفتح عيوننا على تلك الكنوز التى تكشَّفت لنا ولا تزال تتكشف .

وما أجدرنا – نحن القَوَمَةَ على الثقافة العربية – أن ننهض بعبء نشر ذلك التراث وتجليته ، ليكون ذلك وفاء لعلمائنا ، ووفاء لأنفسنا وأبنائنا .

وقد ناديتُ فى مقدمة إحدى منشوراتى [1] أن تلتزم كلياتنا الجامعية ذات الطابع الثقافى الإسلامى تكليف طلبة الدراسات العالية أن يقوم كل منهم بتحقيق مخطوط يمت بصلة إلى موضوع الرسالة التى يتقدم بها فقلت : « وإنه لمما يثلج الصدر أن تتجه جامعاتنا المصرية اتجاهًا جديدًا إزاء طلابها المتقدمين للإجازات العلمية الفائقة ، إذ توجههم إلى أن يقدموا مع رسالاتهم العلمية تحقيقًا لمخطوط يمت بصلة إلى موضوع الرسالة . وعسى أن يأتى اليوم الذى يكون فيه هذا الأمر ضريبة علمية لا بد من أدائها » .

وإنى لمؤمن أن سيأتى ذلك اليوم ، فننعم بكثير من المتع الثقافية التى حالَت بيننا وبينها هذه الحرب العلمية الظالمة .

وقد اختمرت عندى فكرة كتابة هذا البحث منذ خمس سنوات ، وذلك حين ظَفر كتابان من كتبى التى حققتها بالجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى سنة ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، فكنت من ذلك الحين أعاود الكتابة بين الفَينة والأخرى إلى أن كان صيف هذا العام ، إذا اقترح الزميل الجليل الأستاذ أحمد الشايب أن أقوم بإلقاء عدة محاضرات فى هذا الفن على طلبة

---

(١) نوادر المخطوطات ص ٣ من المجلد الأول طبع لجنة التأليف سنة ١٩٥١ . وإنى لأشعر الآن بالغبطة إذ وجدت لتلك الدعوة صدى عميقا فى أرجاء الجامعات بين أساتذتها وطلابها .

« الماجستير » بكلية دار العلوم ، فكانت هذه أول مرة فى جامعاتنا المصرية الحديثة يعالج فيها هذا الضرب من تلك الدراسة الفنية ، وكان للأستاذ الشايب بذلك فضل كبير فى أن ترى كتابتى النور .

وعلمت أنه قد أُلقيت من قبل فى كلية الآداب بجامعتنا القديمة محاضرات تدور حول هذا الفن ، ألقاها المستشرق الفاضل برجستراسر (Bergstrasser) فحاولت جاهداً أن أطلع على شىء منها فلم أوفق .

وأما بعد ، فهذه ثمرة كفاح طويل ، وجهاد صادق ، وتجارب طال عليها المدى ساعفتها عينٌ طُلَعة ناظرة إلى ما يصنع صاحبها وما يصنع الناس ، فكان له من ذلك ذُخر أمكنه أن يفتشه ويبحث فى جنباته ، ليرى وجه الحق فيما يرى ، وأن يؤلف من ذلك كتابًا يعتز به ويغتبط اغتباطًا ، إذا هو (أول كتاب عربى) يظهر فى عالم الطباعة معالجاً هذا الفن العزيز : فن تحقيق النصوص ونشرها .

إنى إذ أقدم هذا البحث الجديد ، أعلم علم اليقين أنه جهد متواضع ، وأن شأنه شأن كل كتابة جديدة قد يخطئها التوفيق فى بعض الأمر ، ويُعْوِزُها الكمال فإنه لم يخلق للبشر ! ولكنى مع ذلك مؤمن أنى قد بذلت فيه جهدًا معبرًا عن أسرة التحقيق التى أرجو أن يكثر عددها ، كما كثر فى ميدان العلم نفعها .

ومن الله العون ، وبه التوفيق

مصر الجديدة فى { فى غرة المحرم سنة ١٣٧٤
٣٠ من أغسطس سنة ١٩٥٤ }

عبد السلام محمد هارون

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هى الطبعة الثانية من « تحقيق النصوص ونشرها » أقدمها مغتبطًا بها وبما كان لسابقتها من صدًى متواضع فى أرضنا العربية بله بلاد المستشرقين الذين كتبوا إلىَّ مهنئين ، وإن كان بعض إخواننا الدمشقيين – ممن كنا نتوسم فيه النَّجابة – زعم بضعف نفسه ، وبما يشعر به أمثاله من ذلة علمية ، أنى لم أطلع على ما كتب المستشرقون ، فوضع بذلك على هامتى إكليلاً أعتز به ، إذ أمكننى بعون الله وحده أن أضع علمًا متكاملاً لم أسبق إليه ، دون أن أتطفل على مائدةٍ كثيرًا ما وُضع فيها للعرب صحافٌ مسمومة ، وموائد العرب حافلة بالجهود الوثيقة ، والأمانة العلمية المرموقة .

فمن تجارب هؤلاء العرب الأمناء فى هذا المجال الأمين ، ومن تجاربى الخاصة التى حاولت فيها ترسُّم خطاهم الطاهرة ، زهاء أربعين عاما ، ومما رأيت وسمعت فى انتباه ويقظة ، أمكننى فى هذا المجال الذى حافظ على القرآن الكريم وهو ما هو ، وأحاديث الرسول وهى ما هى ، أن أتخلص من إسار سادة هؤلاء الضعفاء ، الذين لا يضعون قدمًا على قدم حتى تصدر إليهم إشارة بإصبع من زعماء هذا الاستعمار الثقافى .

إن المستشرقين إخواننا وشركاؤنا ، لكن ليس من الحكمة ولا الكرامة فى شىء أن تكون خطانا متأثرة بخطاهم فى كل أمر من أمورنا الثقافية ، وأن نستعير عقولهم فى صَغار الأذلاء ، وقد منحنا الله القدرة وحسن الفهم والدرس لما كتب بلغتنا وبوحى نفوسنا العربية .

وإن أعجب فإنه ليشتد عجبى ممن يتغنى بفضل سادته هؤلاء ، وينكر فضل أخيه العربى ، ثم يزعم لنفسه كتابًا يستخلص مادته وألفاظه وتنسيقه من كتابى هذا !

عفا الله عنه ، وألهمنا وإياه الهداية والتوفيق .

مصر الجديدة فى { ١٩ من المحرم سنة ١٣٨٥
٢٠ من مايو سنة ١٩٦٥ }

عبد السلام محمد هارون

مقدمة الطبعة الرابعة

كانت الطبعة الثالثة صورة طبق الأصل للطبعة الثانية ، إذ اقتضت ظروف عملى فى جامعة الكويت من سنة ١٩٦٦ إلى سنة ١٩٧٥ ، وحاجةُ طلّاب الدراسة العليا أن تسعفهم طبعة عاجلة ، فصوّرت الطبعةُ الثانية لتصير طبعة ثالثة .

وقد ظهر لى فى أثناء عملى الجامعى ، ودراستى الخاصة ، واستمرار تجربتى فى التحقيق ، بعض حقائق وقضايا وتنقيحات ، وجدت من الخير أن أضيفها فى هذه الطبعة الرابعة ، فأعان الله ووفّق .

وطلب إلىّ أخى وصديقى السيد محمد نجيب أمين الخانجى ، أن يقوم بإصدار هذه الطبعة التى أرجو أن يتضاعف النفع بها للدارسين ، فأجبته إلى ملتمسه ، شاكرًا له صادق اهتمامه بنشر كتب التراث وما يمتُّ إليها بصلة ، اقتداء بوالده المغفور له السيد محمد أمين الخانجى ، الذى وجه عنايته فى عهود مبكرة إلى إحياء التراث العربى ، فأحيا منه قدرًا لا يُستهان به ، متمثلاً فى عشرات الكتب التى اضطلع وحده بعبء نشرها وإخراجها ، وفى طبع موسوعات لها قَدرها بين نفائس التراث العربى ، كمعجم البلدان لياقوت ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى . جزاه الله وجزى ولده البارّ به وبمتابعته جهاده العلمى ، خير الجزاء .

مصر الجديدة فى { ١٨ من ذى القعدة سنة ١٣٩٦
١٠ من نوفمبر سنة ١٩٧٦ }

عبد السلام محمد هارون

مقدمة الطبعة الخامسة

تصدر هذه الطبعة وقد رحل مؤلّفها الجليل مؤسس علم تحقيق التراث ، بعد أن أضاف إلى الطبعة الرابعة السابقة العديد من ملاحظاته القيّمة ومراجعاته الدقيقة ، بطول الكتاب ؛ والذى أثراه بفصلٍ كامل يضم معجمًا لبعض التصحيفات التى صادفها أثناء تحقيقه المضنى لكتاب الحيوان للجاحظ .

وتوج بذلك خبرته الحافلة فى التحقيق ، طوال ثلاث وستين عامًا ، منذ حقّق أول أعماله – وهو بعدُ غضٌ فى عامه السادس عشر « مَتْن الغاية والتقريب للقاضى أبى شجاع الأصفهانى » عام ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٥ م . فصَدَق ما عاهَدَ اللهَ عليه – مع إخوانه وقُرنائه من أهل العلم النافع – من جلاء كنوز التراث الإسلامى مما رَانَها من عَوادى الزمن ؛ لتضىء الطريق وتهدى الأمة إلى ما أراده الله لها من فضلٍ ؛ ووعد به صالحيها من رضًا فى الدنيا ورضوانٍ فى الآخرة .

تقبّل الله من صاحب هذا العمل كل ما أسداه للتراث الخالد ؛ ولا حرمنا أجره ولا فتننا بعده ؛ اللهم آمين .

نبيل عبد السلام هارون

كيف وصلت إلينا الثقافة العربية

كانت الرواية الشفوية أولَ محاولة لنشر العلم ، والرواية هى الطريقة البدائية للعلم عند جميع الشعوب ، ولكن الرواية العربية اقترنت منذ اللحظة الأولى بالحرص البالغ ، والدقة الكاملة والأمانة . كان هذا أساسها على الأقل ، لأن الدين يدعو إلى ذلك ، ولأن كثيرًا من نصوص الكتاب ، وكثيرًا من نصوص السُّنة كان شاهدًا من شواهد التشريع ، وآية من آيات الفتوى ، فالتزم القوم الأمانة والحرصَ فيها حين يروون كلام الله وكلام الرسول ﷺ ، بل حين يروون أشعار الجاهليين والإسلاميين وأيامهم ووقائعهم إلى حد ما .

وكانت الكتابة شيئًا جديدًا ، فالعرب كانوا قومًا أُميين لم تنتشر الكتابة بينهم إلا بدعوة الإسلام وبصنع الإسلام ، ففى أعقاب غزوة بدر كان من طرق مفاداة أسرى المشركين أن يُعلِّمَ الأسير عشرة من المسلمين الكتابة ، فكان « زَيد بن ثابت » كاتب رسول الله أحد هؤلاء الذين علّمهم الأسرى ، تعلمها فى جماعة من الأنصار الذين لم يكن فيهم من يحسن الكتابة ، كما ذكر المقريزى [1] . وكان « أُبىٌّ بن كعب » أول أنصارى كتب للرسول ﷺ ، و « عبد الله بن سعد بن أبى سرح » أول من كتب له من قريش ، وكان عدة مَن كتب لرسول الله ﷺ زهاء أربعين كاتبًا تكفَّل ابن سيِّد الناس [2] بذكر أسمائهم ، وفى صدرهم الخلفاء الأربعة الراشدون .

أول نَصٍّ مكتوب :

كان هؤلاء الكُتّاب يكتبون وحى القرآن ، ولحق رسول الله ﷺ بالرفيق

(١) إمتاع الأسماع ١ : ١٠١ .
(٢) عيون الأثر ١ : ٣١٥ - ٣١٦ .

الأعلى وقد كتبوا القرآن كله ، لم يكتبوا من الحديث إلا قليلًا ، استجابة لما ورد فى حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكتبوا عنى شيئًا سوى القرآن ، فمن كتب عنى شيئًا سوى القرآن فليمْحهُ » رواه مسلم فى صحيحه .

والحكمة فى هذا ظاهرة ، وهى الخشية من أن يختلط الوحى بحديث الرسول ﷺ فى أثناء نزول الكتاب ، فصدر هذا الأمر محافظة على هذا الغرض الكريم ، وكان بلا ريب موقتًا بنزول القرآن . على أن المحققين من المحدِّثين يَرَون أن هذا الحديث قد نسخ بأحاديث أخرى تبيح الكتابة [1] :

منها ما رواه البخارى ومسلم أن أبا شاه اليمنى [2] التمس من رسول الله ﷺ أن يكتب له شيئًا سمعه من خطبته عام الفتح فقال : « اكتبوا لأبى شاه » .

وروى أبو داود والحاكم وغيرهما عن عبد الله بن عَمرو بن العاص قال : قلت : يا رسول الله ، إنى أسمع منك الشئ فأكتبهُ ؟ قال : « نعم » قال : فى الغضب والرضا ؟ قال : « نعم فإنى لا أقول فيهما إلا حقًا » .

وروى البخارى عن أبى هريرة قال : ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثًا منى ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب .

وروى الترمذى عن أبى هريرة قال : كان رجل من الأنصار يجلس إلى رسول الله ﷺ فيسمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه ، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : « استعن بيمينك » . وأومأَ بيده إلى الخط .

ولما ولى الخلافة أبو بكر وكان ما كان من قَتل القُراء باليمامة عَمد أبو بكر إلى جمع القرآن من صدور الرجال ، ومن العُسُب والقُضُم ، والرقاع واللِّخاف

---

(١) الباعث الحثيث ١٤٧ - ١٤٩ .

(٢) ويقال إنه كلبى ، ويقال إنه فارسى . وهاؤه أصلية ، ومعناه الملك . الإصابة ٦٠١ من باب الكنى .

والأكتاف والأضلاع (١) ، فحفظ القرآن بذلك ، وكان عمر بعده أول من جمع القرآن فى مصحف . وتعددت مصاحف المسلمين حتى جمعهم عثمان على مصحفٍ واحد ، بعث إلى كل أفق بصورة منه .

لذلك نستطيع أن نقول : إن القرآن الكريم أول نص إسلامى مكتوب وصل إلينا .

* * *

أَوَائِلُ التَّصْنِيفِ :

ثم استفاض الإسلام واتسعت رقعته اتساعًا ظاهرًا فى زمان الدولة الأموية ، وأدى ذلك إلى اختلاط العرب بالأعاجم ، ففسد اللسان ، وكان طبيعيًا أن يؤلَّف النحو وتوضع فيه أوائل الكتب ، ويظل الحديث فى منأى عن الكتابة ، إنما تعيه صدور الرواة ، وتكتبه قلة قليلة منهم فى خوف وإشفاق . وتثور الفتن وتتفرع المذاهب وتكثر الفتاوى الدينية ، فكان لابد للناس من كتب فى الدين يرجعون إليها لتكون لهم إمامًا ، خشية أن يكون عمادهم أقوال مختلف العلماء ومذاهبهم التى قد توجهها الأهواء ونوازع السياسة والعصبية ، فيدوِّنون الحديث .

ويذكرون أن الخليفة عمر بن عبد العزير ظل يستخير الله أربعين يومًا فى تدوين الحديث ، وخار له الله ، فأذن لأبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فى تدوين الحديث ، فَدَوَّنَ ما كان يحفظه فى كتاب بعث به إلى الأمصار . وكان أبو بكر هذا قاضيًا وواليًا على المدينة ، وتوفى سنة ١٢٠ هـ .

---

(١) العسب : جمع عسيب ، وهو جزء السعفة الذى لا ينبت عليه الخوص . والقضم : جمع قضيم ، وهو الجلد الأبيض يكتب فيه ، أو هو الأديم المدبوغ ما كان . واللخاف : حجارة بيض رقاق ، واحدتها لخفة بالفتح .

ولم تزل جمهرة التابعين متورِّعة عن التدوين والتصنيف فى الحديث ، حتى تقلّص ظل الدولة .

وكانت تظهر جهود أخرى فى التأليف المبكر ، تتمثل فيما ترجم لخالد ابن يزيد بن معاوية من علوم اليونان ، وما ألف هو من كتب فى الطب والكيمياء ، وما ألفه عَبِيد بن شَرِيَّة لمعاوية من أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها . وقد طبع هذا الكتاب فى حيدر أباد سنة ١٣٤٧ من رواية يظهر أنها لابن هشام . وما ألفه وهب بن مُنبه المتوفى سنة ١١٠ من كتاب التيجان فى ملوك حِمير . وقد طبع هذا الكتاب من رواية ابن هشام سنة ١٣٤٧ مع سابقه .

كما أدت إلينا الأخبار أن زياد بن أبيه وضع لابنه كتاباً فى مثالب العرب ، وأن يونس بن سليمان وضع كتاباً فى الأغانى ونسبتها إلى المغنين ، وأن ماسرجويه الطبيب ترجم كتاب أهرن بن أعين من السريانية إلى العربية .

ويذكر ابن النديم (١) أن كاتباً كان موصوفاً بحُسن الخط ، واسمه خالد ابن أبى الهياج ، كان سعد قد نصبه لكتابة المصاحف ، كان يكتب الشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك .

ثم تنهض الدولة العباسية وينهض التدوين ، ويتحرّر المحدثون من هذا التزمت ، وتوضع مسانيد الحديث وكتبه فى كل صقع : يؤلف سفيان بن عُيينة ومالك بن أنس فى المدينة ، وعبد الله بن وهب بمصر ، ومَعمر وعبد الرزاق باليمن ، وسفيان الثورى ومحمد بن فضيل بن غزوان بالكوفة ، وحمّاد بن سلمة وروح بن عبادة بالبصرة ، وهُشَيم بواسط ، وعبد الله بن المبارك بخراسان ، وتظهر الكتب فى شتى الفنون الدينية محتفظة بالطابع الذى غلب على المحدّثين ، وهو إسناد الرواية إلى مؤلف الكتاب ، وتسرى بين المؤلفين قواعد يلتزمونها فى السماع والرواية ، والقراءة على الشيخ

---

(١) الفهرست ٩ .

والإجازة ، والمكاتبة والوِجادة [١] . تسرى هذه القواعد التى تكفّلت كتب مصطلح الحديث فيما بعد بتفصيلها وبيان شرائطها .

وكان هذا كله مقرونًا بالحرص على الضبط والتصحيح . يقول ابن خلدون [٢] (٧٣٢ - ٨٠٨) :

« وكانت هذه الرسوم بالمشرق والأندلس معبّدة الطرق واضحة المسالك. ولهذا نجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد فى أقطارهم على غاية من الإتقان والإحكام والصحة ، ومنها لهذا العهد بأيدى الناس فى العالم أصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم فى ذلك ، وأهل الآفاق يتناقلونها إلى الآن ، ويشدون عليها يد الضنانة . ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب وأهله ، لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية ، بانتقاص عمرانه وبداوة أهله ، وصارت الأمهات والدواوين تنسخ بالخطوط البدوية ، تنسخها طلبة البربر صحائفَ مستعجمة برداءة الخط ، وكثرة الفساد والتصحيف » .

ثم يقول : « ويبلغنا لهذا العهد أن صناعة الرواية قائمة بالمشرق ، وتصحيح الدواوين لمن يروم ذلك سهلٌ على مبتغيه ، لنَفَاق أسواق العلوم والصنائع كما نذكره بعد . إلا أن الخط الذى بقى من الإجادة فى الانتساخ هنالك إنما هو للعجم وفى خطوطهم . وأما النَّسْخ ففسد كما فسد بالمغرب وأشدّ » .

وهذا التسجيل يوضِّح ما كانت عليه الكتب إلى القرن الثامن الهجرى ، من الإسناد والضبط والتصحيح .

* * *

---

(١) الوجادة : أن يجد حديثًا أو كتابًا بخط شخص بإسناده ، فله أن يرويه على سبيل الحكاية فيقول : وجدت بخط فلان ، ويسنده . ولا تعد الوجادة رواية معتمدة ، وإنما هى حكاية عما وجده فى الكتاب . والعمل بها منعه طائفة كبيرة من الفقهاء والمحدثين . ونقل عن الشافعى وأصحابه جواز العمل بها . قال ابن الصلاح : وقطع بعض المحققين من أصحابه بوجوب العمل بها عند حصول الثقة به . قال ابن الصلاح : وهذا هو الذى لا يتجه غيره فى الأعصار المتأخرة ، لتعذر شرط الرواية فى هذا الزمان . يعنى فلم يبق إلا مجرد وجادات . انظر الباعث الحثيث ص ١٤٢ .

(٢) المقدمة ص ٣٦٨ .

الورق والورّاقون

يذكر ابن النديم (١) أن العرب كانت تكتب فى أكتاف الإبل ، واللخاف وهى الحجارة البيض العريضة الرقاق ، وفى العسب عسب النخل ، وأنَّهم بعد ذلك كتبوا فى الجلود المدبوغة . ويذكر أن الدباغة فى أول الأمر كانت بالنُّورة وهى شديدة الجفاف ، ثم كانت الدباغة الكوفية تدبغ بالتَّمر وفيها لين ، ثم كتبوا فى الورق الخراسانى ، وكان يعمل من الكَتان ، وحدث صنعه فى أيام بنى أمية وقيل فى الدولة العباسية ، وقيل إن صناعًا من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصينى الذى كان يصنع من الحشيش . ويذكر من أنواعه : السليمانى ، والطلحى ، والنوحى ، والفرعونى ، والجعفرى ، والطاهرى .

ويقول ابن خلدون : « وكانت السجلات أولًا لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك ، فى الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد ، لكثرة الرَّفَه وقلة التآليف صدرَ الملة ، كما نذكره ، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك ، فاقتصروا على الكتاب فى الرَّقِّ تشريفًا للمكتوبات ، وميلًا بها إلى الصحة والإتقان . ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه ، وضاق الرَّقُّ عن ذلك ، فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغَد ، وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه ، واتخذه الناس من بعده صُحفًا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية ، وبلغت الإجادة فى صناعته ما شاءت » .

ويسجل الجَهشِيارى (٢) أن الورق كان مستعملًا بكثرة فى أيام أبى جعفر المنصور ، وأنه كان يُجتلَب من مصر ، إذ لم تكن صناعة الورق قد أقيمت فى بغداد .

قال : ووقف أبو جعفر على كثرة القراطيس فى خزائنه ، فدعا بصـــالح

---

(١) الفهرست ٣١ .

(٢) الوزراء والكتاب ١٣٨ .

صاحب المصلّى فقال له : إنى أمرت بإخراج حاصل القراطيس فى خزائننا فوجدته شيئًا كثيرًا جدًا ، فتولَّ بيعه وإن لم تُعْطَ بكل طومارٍ إلا دانقًا – الدانق سُدس الدرهم – فإن تحصيل ثمنه أصلح منه .

قال صالح : وكان الطُّومار فى ذلك الوقت بدرهم . فانصرفت من حضرته على هذا ، فلما كان فى الغد دعانى فدخلت عليه فقال لى : فكرت فى كتبنا وأنها قد جرت فى القراطيس ، وليس يؤمن حادث بمصر فتنقطع القراطيس عنا بسببه ، فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم نعوّده عمالنا ، فدع القراطيس استظهارًا على حالها .

ويعيِّن ابنُ النديم فترة من الزمن فى أيام الدولة العباسية كانت الناس فيها ببغداد لا يكتبون إلا فى الطروس – والطرس فى اللغة : الصحيفة تمحى ثم تكتب – وهذه الفترة هى سنون تلت نهب الناس للدواوين فى أيام محمد ابن زُبيدة ، وكانت الدواوين فى جلود فكانت تُمْحَى ثم يكتب فيها .

والظاهر أنَّ العرب كانوا يكتبون فى كل من الجلود والأوراق فى عهد الدولة الأموية ، وصدرٍ صالح من عهد الدولة العباسية ، وأن الورق لم يستعمل بكثرة ظاهرة إلا منذ أشار الفضل بن يحيى البرمكى بصناعة الكاغَد .

ومن النصوص النادرة ما وجدته فى ترجمة الشافعى ، فى سير النبلاء للذَّهبى ، أنه كان يكتب فى الألواح والعظام .

ويذكر القَلْقَشَنْدى [١] تعليلاً للكتابة فى الجلود ، وهو قوله : « أجمع رأى الصحابة على كتابة القرآن فى الرق لطول بقائه ، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ ، وبقى الناس على ذلك إلى أن ولى الرشيد الخلافة وقد كثر الورق ، وفشا عمله بين الناس ، فأمر ألا يكتب الناس إلا فى الكاغَد ، لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة ، فتقبل التزوير ، بخلاف الورق فإنه متى مُحِيَ

---

(١) صبح الأعشى ٢ : ٤٨٦ .

فيه فسد ، وإن كُشِط ظهر كشطه . وانتشرت الكتابة فى الورق إلى سائر الأقطار ، وتعاطاها مَنْ قَرُبَ ومن بعد » .

ومع ذلك ظل عِلْية القوم يستعملون الجلود ويأنفون من الكتابة فى الورق .

وقد سجل الجاحظ (فى رسالة الجد والهزل) [١] التى ساقها إلى محمد ابن عبد الملك بن الزيات ، نقد محمد له فى استعماله الورق وإهماله الجلود ، وردَّه عليه فقال :

« وما عليك أن تكون كتبى كلها من الورق الصِّينىّ ومن الكاغَد الخُراساني ؟! قل لى : لِمَ زيَّنْتَ النَّسْخَ فى الجلود ، ولمَ حثثتنى على الأَدَم وأنت تعلم أنَّ الجلود جافية الحجم ، ثقيلة الوزن ، إن أصابها الماء بَطلت ، وإن كان يوم لَثَقٍ استرخت . ولو لم يكن فيها إلاَّ أنّها تبغِّض إلى أربابها نزول الغيث ، وتكرِّه إلى مالكيها الحَيَا لكان فى ذلك ما كفَى ومنعَ منها . قد علمت أن الورَّاق لايخطُّ فى تلك الأيام سطرًا ، ولا يقطع فيها جلدًا ... وهى أنتن ريحًا وأكثر ثمنًا وأحمل للغش ، يُغَشُّ الكوفىّ بالواسطيّ ، والواسطيّ بالبصرىّ ... ولو أرادَ صاحبُ علم أن يحمل منها قدرَ ما يكفيه فى سَفَره لما كفاه حِمْلُ بعير ، ولو أراد مثل ذلك من القُطْنىّ لكفاه ما يحمل مع زاده .

وقلت لى : عليك بها فإنها أحمل للحكِّ وللتغيير ، وأبقى على تعاور العاريّة وعلى تقليب الأيدى . ولَرديِدها ثمن ، ولطرسها مَرجوع . . وليس لدفاتر القطنى أثمانٌ فى السُّوق ، وإن كان فيها كل حديث طريف ، ولَطَفٍ مليح ، وعلم نفيس .

وقلت : وعلى الجلود يعتمد فى حساب الدواوين وفى الصِّكاك والعهود ، وفى الشروط وصور العقارات ، وفيها تكون نموذجات للنقوش ،

---

(١) رسائل الجاحظ ١ : ٢٥٢ - ٢٥٣ تحقيق عبد السلام هارون .

ومنها تكون خرائط البرد ، وهنَّ أصلح للجُرُب ، ولعِفاص الجرَّة ، وسِداد القارورة . وزعمتَ أن الأرضة إلى الكاغد أسرع ، وأنكرت أن تكون الفأرة إلى الجلود أسرع ، بل زعمت أنها إلى الكاغد أسرع ؛ وله أفسد ، فكنت سبب المضرة فى اتخاذ الجلودِ والاستبدال بالكاغد ، كنت سبب البلية فى تحويل الدفاتر الخفاف فى المحَمَل إلى المصاحف التى تثقل الأيدى ، وتحطّم الصدور ، وتقوِّس الظهور ، وتُعمِى الأبصار » .

ويقول الجاحظ فى الحيوان (١) : « وقيل لابن داحةَ وأخرج كتاب أبى الشمقمق ، وإذا هو فى جلود كوفية ودَفّتيين طائفيّتين بخط عجيب ، فقيل له : لقد أضيعَ من تجوَّد بشعر أبى الشمقمق ! فقال : لا جرم والله ، إن العلم ليعطيكم على حساب ما تعطونه ، ولو استطعت أن أودعه سُويداء قلبى ، أو أجعله محفوظًا على ناظرى لفعلت ! » .

فهذا كله آية على أن الجلود كانت مستعملة فى العراق وما جاوره فى كتابة دواوين العلم ، إلى القرن الثالث الهجرى ، ودليل على أن الورق لم يحل محلها بصفة قاطعة .

ويروون أن الشافعى كان كثيرًا ما يكتب الرسائل على العظام لقلة الورق (٢) .

أما فى مصر فإنَّ ورق البَرْدى كان هو المادة الشائعة فى الكتابة إلى أن حلّت الجلود ثم الأوراق محلها .

* * *

(١) الحيوان ١ : ٦١ .

(٢) المطالع النصرية ص ١٨ .

الوَرَّاقون :

فرغنا من الحديث فى الورق ، ثم نفرغُ للكلام على الوراقين .

وقد عقد ابن خلدون لهم فصلًا فى مقدمته (١) بسط فيه صناعتهم فقال :

« كانت العناية قديمًا بالدواين العلمية والسجلات فى نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط ، وكان سبب ذلك ماوقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة ، وقد ذهب العهدُ بذهاب الدولة وتقلُّص العمران ، بعد أن كان منه فى الملة الإسلامية بحر زاخر بالعراق والأندلس ، إذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة ، ونَفَاق أسواق ذلك لديهما ، فكثر التآليف العلمية والدواوين ، وحرص الناس على تناقلهما فى الأفاق والأمصار ، فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين ، واختصت بالأمصار العظيمة العمران » .

ويفهم من هذا أن الوراقة جاءت تابعة لقوة الدولة واتساع الحضارة ، وأن الورّاقين كان لهم مكان فى الأمصار العظيمة والبلدان الكبيرة ، فهم بمثابة المطابع الحديثة التى تحتل أمصار بلادنا الآن . وكانت مهمتهم موزعة بين الانتساخ ، والتصحيح ، والتجليد ، والتذهيب ، وكل ما يمت إلى صناعة الكتب بصلة » .

وكانت لهم أسواق فى بعض الأمصار ، كانت بمثابة المعاهد العلمية . وجاء فى فهرست ابن النديم (٢) عن ابن دُريد قال : « رأيت رجلًا فى الوراقين بالبصرة يقرأ كتاب المنطق لابن السّكّيت » .

وكانت صناعة هؤلاء الورّاقين رائجة رَواجًا . فالجاحظ (٣) يذكر أن يحيى ابن خالد البرمكى لم يكن فى خزانة كتبه كتاب إلا وله « ثلاث نسخ » .

---

(١) المقدمة ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٢) الفهرست ص ٢٨ .

(٣) الحيو ان ١ : ٦٠ .

ويذكر ابن الأثير أنه كان فى خزانة سابور بن أردشيروز بهاء الدولة بن عضد الأول مائة مصحف بخط ابن مقلة .

ويذكر المقريزى أنه كان فى خزانة العزيز بالله ٣٠ نسخة من كتاب العين و١٠٠ نسخة من الجمهرة . وأنه كان فى خزانة كتب الفاطميين ١٢٠٠ نسخة من تاريخ الطبرى (١) .

وكان العلماء يستعينون بالورّاقين فى التأليف .

قال أبو بريدة الوضاحى (٢) : أمر أمير المؤمنين المأمون الفرّاء أن يؤلف ما يجمع به أصول النَّحو ، وما سمع من العرب ، فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار ، ووكَّل بها جوارىَ وخدمًا للقيام بما يحتاج إليه ، حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوف نفسُه إلى شىء ، حتى إنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة ، وصيَّر له الوراقين يكتبون ، حتى صنّف كتاب الحدود .

وكانت ثقة القوم بالورّاقين نازلة ، لأنهم لم يكونوا فى الغالب من العلماء أو من أهل الرواية ، بل هم أهل صناعة وتكسب . وقد عرف الطعن فيهم قديمًا . قال ثعلب (٣) فى الكلام على كتاب العين : « وقد حشا الكتاب أيضًا قوم علماء ، إلا أنه لم يؤخذ منهم رواية ، وإنما وجد بنقل الوراقين ، فاختل الكتاب لهذه الجهة » .

ومن أوائل هؤلاء الوراقين خالد بن أبى الهياج الذى سلف ذكره فى فصل أوائل التصنيف ، كان موصوفًا بحسن الخط قال ابن النديم : « وهو الذى كتب الكتاب الذى فى قبلة مسجد النبى ﷺ بالذهب من : ﴿الشمس وضُحاها﴾ إلى آخر القرآن . فيقال إن عمر بن عبد العزيز قال :

---

(١) المقريزى ٣ : ٢٥٣ - ٢٥٥ .

(٢) معجم الأدباء ٢٠ : ١٢ .

(٣) المزهر ١ : ٨٢ .

« أريد أن تكتب لى مصحفاً على هذا المثال » . فكتب له مصحفًا تَنَوَّق فيه ، فأقبل عمر يُقلبه ويستحسنه ، واستكثر ثمنه فردّه عليه .

ومنهم مالك بن دينار السامى ، مولى بنى سامة بن لؤى ، أبو يحيى البصرى الزاهد : كان أبوه من سَبْى سجستان ؛ وكان يكتب المصاحف بأجرة ويتقوَّت بذلك .

وممن كان يتقوت بالنسخ من العلماء أبو على محمد بن الحسن بن الهيثم المهندس البصرى ، نزيل مصر ، المتوفَّى نحو سنة ٤٣٠ . ذكر القفطى [١] أنه كان ينسخ فى مدة سنة ثلاثة كتب فى ضمن أشغاله ، وهى إقليدس ، والمتوسطات ، والمجِسطى ، ويستكملها فى مدة السنة ؛ فإذا شرع فى نسخها جاءه من يعطيه فيها مائة وخمسين دينارًا مصرية ، فيجعلها مؤونة لنفسه .

ومن العلماء الورّاقين أبو موسى الحامض [٢] ، وأبو عبد الله الكرمانى [٣] .

ومنهم : ابن وداع ، وهو عبد الله بن محمد بن وداع الأزدى . قال ابن النديم : « حسن المعرفة صحيح الخط ، خطّه يرغب الناس فيه ، ويأخذ حِطَّة الثمن » ، كناية عن زهده وقناعته بالقليل من الأجر [٤] .

ومن طريف ما يروى عن أحد النحاة ، وهو يحيى بن محمد الأرزنى ، ماذكره ياقوت [٥] فى شأنه إذ يقول : « إمام فى العربية مليح الخط سريع الكتابة ، كان يخرج فى وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصيح لثعلب ، ويبيعه بنصف دينار ، ويشترى نبيذًا ولحمًا وفاكهة ، ولايبيت حتى ينفق مامعه منه » .

---

(١) أخبار العلماء ١٥٥ .

(٢) الفهرست ١١٧ ، بغية الوعاة للسيوطى ٢٦٢ .

(٣) الفهرست ١١٨ ، بغية الوعاة للسيوطى ٦٠ .

(٤) الفهرست ١١٨ .

(٥) إرشاد الأريب ٢٠ : ٣٤ - ٣٥ . وانظر البغية ٤١٦ .

ويروى ابن النديم [١] فى ترجمته ليحيى بن عدى المنطقى النصرانى أن يحيى كان ينسخ كتب التفسير والكلام ، مع أنه كان من النصارى اليعقوبية . وهذا أمر عجب . ويذكر أنه لقيه وعاتبه على كثرة نسخه ، فقال له : من أى شىء تعجب فى هذا الوقت من صبرى ؟ قد نسخت بخطى نسختين من التفسير للطبرى ، وحملتهما إلى ملوك الأطراف ؛ وقد كتبت من كتب المتكلمين مالا يحصى ؛ ولعَهدى بنفسى وأنا أكتب فى اليوم والليلة مائة ورقة وأقل .

وهذا النص وسابقه يبين لنا قوة المَرانة التى كانت لهؤلاء الوراقين فى سرعة الخط .

وممن عُرف بسرعة الخط هشام بن يوسف الأبناوىّ القاضى ، قال عن نفسه : قدم سفيان الثورى اليمن فقال : اطلبوا لى كاتبًا سريع الخط . فارتادونى فكنت أكتب [٢] .

ومنهم أبو على الحسن بن شهاب العكبرى ، قال السمعانى [٣] :

كان حسن الخط يكتب بالوراقة ، وكان سريع القلم صحيح النقل . وكان يقول : كسَبت فى الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضيَّة .

وقد عثرت فى تاريخ بغداد للخطيب [٤] فى ترجمة الفراء على نص يلقى ضوءًا على الأجور التى كان الوراقون يتقاضونها فى عهد الدولة العباسية . وذلك عند الكلام على كتاب (المعانى للفراء) : أنه لما فرغ من كتاب المعانى « خزنه الوراقون عن الناس ليكسبوا به ، وقالوا : لا نخرجه إلا لمن أراد أن ننسخه له على خمس أوراق بدرهم . فشكا الناس إلى الفراء ، فدعا الوراقين فقال لهم فى ذلك ،

---

(١) الفهرست ٣٦٩ .

(٢) تهذيب التهذيب ١١ : ٥٧ .

(٣) فى الأنساب ٣٩٦ .

(٤) تاريخ بغداد ١٤ : ١٥٠ . ونقله عنه ابن خلكان فى ترجمته . وذكر الخبر أيضًا ياقوت فى معجم الأدباء ٢٠ : ١٢ – ١٣ .

فقالوا : إنما صَحبناك لننتفع بك ، وكل ما صنعتَه فليس بالناس إليه من حاجة ما بهم إلى هذا الكتاب ، فدعنا نعيش به . فقال : فقارِبوهم تنتفعوا وينتفعوا . فأبوا عليه ، فقال : سأريكم ! وقال للناس : إنى مُملِ كتاب معان أتم شرحًا وأبسط من الذى أمليت . فجلس يملى ، فأملى الحمد فى مائة ورقة ، فجاء الوراقون إليه وقالوا : نحن نبلغ الناس ما يحبون . فنسخوا كل عشرة أوراق بدرهم .

وهذا الأجر ينبىء فى جلاء واضح عن كثرة الوراقين بالقدر الذى يهبط به الأجر إلى هذا المستوى .

لكن يبدو أن خطوط العلماء كان لها تقدير خاص ، كما سبق فى خبر يحيى بن محمد الأرزنى (١) . ومن ذلك ما أورده السيوطى فى البغية (٢) من أن السيرافى كان لا يخرج إلى مجلسه حتى ينسخ عشر ورقات بعشرة دراهم ، تكون بمقدار مؤونته .

وعثرت كذلك على نص نادر لابن النديم فى الفهرست (٣) ، يذكر فيه مقدار الورقة التى يعنيها فى كتابه ، وهى الورقة السليمانية ، قال :

« فإذا قلنا : إن شعر فلان عشر ورقات فإنا إنما عنينا بالورقة أن تكون سليمانية ، ومقدار ما فيها عشرون سطرًا ، أعنى فى صفحة الورقة » .

وليس معنى هذا أن مقدار الورقة فى المخطوطة القديمة تعنى هذا القدر فإن مقادير الأوراق تتفاوت بلا ريب بين المخطوطة والأخرى . وإنما ذكرت هذا تسجيلًا لما يعنى ابن النديم فى كتابه .

ومما يعنينا تسجيله أيضًا ماذكر فى تقدير(المجلد) قديمًا . جاء فى ترجمة يحيى بن المبارك اليزيدى عند ابن خلكان (٤) عن أبى حمدون الطبيب قال :

---

(١) انظر ماسبق فى ص ٢٢ .

(٢) بغية الوعاة ٢٣٣ .

(٣) الفهرست ٢٢٧ .

(٤) الوفيات ٢ :٢٣٠ .

شهدت ابن أبى العتاهية وقد كتب عن أبى محمد اليزيدى قريبًا من ألف مجلد ، عن أبى عمرو بن العلاء خاصة ، فيكون ذلك عشرة آلاف ورقة ؛ لأن تقدير المجلد عشر ورقات .

فكأن المجلد أطلق قديمًا على ما يسمى بالكراسة (١) ، التى هى إلى وقتنا هذا تقدر بعشر ورقات .

وكان بعض الوراقين يتجاوزون مهنتهم الأصلية إلى صناعة التأليف . قال ابن النديم (٢) :

« كانت الأسمار والخرافات مرغوبًا فيها مشتهاة فى أيام خلفاء بنى العباس وسيما فى أيام المقتدر ، فصنف الوراقون وكذبوا ، فكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلان ، واسمه أحمد بن محمد بن دلان ، وآخر يعرف بابن العطار ، وجماعة » .

وكما كان هناك ورَّاقون قد نصبوا أنفسهم لهذه الصناعة فى السوق ، كان هناك ورَّاقون خاصُّون . فمنهم : دماذ أبو غسان (٣) كان يروى عن أبى عبيدة ، وكان يورق كتبه ، وأخذ عنه الأنساب والأخبار والمآثر .

ومنهم : على بن المغيرة أبو الحسن الأثرم النحوى ، المتوفى سنة ٢٣٢ قال فى البغية (٤) : « وكان أول أمره يورق لإسماعيل بن صبيح » (٥) .

---

(١) كلمة « الكراسة » قديمة . وفى اللسان عن ابن الأعرابى : « الكراسة من الكتب سميت لتكرسها » .

والتكرس : التجمع ، يقال نظم متكرس : بعضه فوق بعض . وأنشد فى اللسان للكميت :

حتى كان عراص الدار أردية من التجاويز أو كراس أسفار

الأسفار : جمع سفر بمعنى الكتاب . والتجاويز : يريد موشية من برود اليمن ، واحدها تجواز ، بالكسر .

(٢) الفهرست ٤٢٨ .

(٣) الفهرست ٨١ .

(٤) بغية الوعاة ٣٥٥ .

(٥) كان إسماعيل بن صبيح كاتبا ليحيى بن خالد البرمكى ، كما قلده الرشيد ديوان الخراج ثم ديوان الرسائل . الوزراء والكتاب للجهشيارى ١٥٠ ، ٢٥٧ .

وكان لأبى عثمان الجاحظ أكثر من ورّاق : فمنهم أبو يحيى زكريا بن يحيى ، ذكره القالى فى الأمالى [١] ، وياقوت فى معجم الأدباء نقلاً عن ابن النديم [٢] . ومنهم أبو القاسم عبد الوهاب بن عيسى ، ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد [٣] والزبيدى فى تاج العروس [٤] ، وكانت وفاته سنة ٣١٩ فيما ذكر الخطيب .

وكان لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد ورَّاقون [٥] منهم ابن الزجّاجى واسمه إسماعيل بن محمد . والساسى واسمه إبراهيم بن محمد .

ومن هؤلاء الوراقين عَلاَّن الشعوبى [٦] كان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة .

ومنهم أحمد بن أحمد ، ابن أخى الشافعى ، كان يورق لابن عبدوس الجهشيارى [٧] .

ومنهم أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى هاشم المعرى ، لزم أبا العلاء ونسخ له كتُبه بأسرها ، بدون أجر [٨] .

أما القاضى أبو المطرف ، قاضى الجماعة بقرطبة ، فكان له ستة ورَّاقين ينسخون له دائمًا ، وكان قد رتَّب لهم على ذلك وظيفة معلومة [٩] .

ولم يخلُ هذا الميدان من عنصر المرأة ، إذ نجد من أسمائهن « ثناء » الكاتبة جارية ابن فيوما ، ذكرها ابن النديم فيمن كتبوا الخطوط الأصيلة الموزونة [١٠] .

* * *

(١) الأمالى ١ : ١٤٨ .
(٢) معجم الأدباء ١٦ : ١٠٦ .
(٣) تاريخ بغداد ٥ : ٥٦٩ .
(٤) تاج العروس ١٠ : ١٠٨ .
(٥) ابن النديم ٨٩ .
(٦) ابن النديم ١٥٣
(٧) معجم الأدباء ٢ : ١٣٧ .
(٨) تعريف القدماء ٣٢ ، ٣٨ ، ١٠١ ، ٢٠١ .
(٩) الصلة لابن بشكوال ١ : ٣٠٤ - ٣٠٦ .
(١٠) الفهرست ص ١١ .

الخطوط

كان الغالب على خط أهل القرون الثلاثة الأولى هو الخط الكوفى ، وقد بدأ مزج الخط الكوفى بالخط الحديث فى أواخر خلافة بنى أمية وصدر الدولة العباسية . يقول القلقشندى :

« ذكر صاحب إعانة المنشى أن أول ما نقل الخط العربى من الكوفى إلى ابتداء هذه الأقلام المستعملة الآن ، فى أواخر دولة بنى أمية وأوائل خلافة بنى العباس . قلت : على أن الكثير من كُتّاب زماننا يزعمون أن الوزير أبا على بن مقلة (١) هو أول من ابتدع ذلك ، وهو غلط ، فإنا نجد من الكتب بخط الأولين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفى ، بل يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرة وإن كان هو إلى الكوفى أميل ، لقربه من نقله عنه » .

هذا ما كان فى الجانب الشرقى من الدولة الإسلامية . وكان فى الجانب الغربى من الدولة خط قديم يسمى « الإفريقى » ، وأوضاعه كما يقول ابن خلدون (٢) قريبة من أوضاع الخط المشرقى .

ولما تغلب الأمويون على الأندلس ظهر لهم هناك خط خاص هو المعروف بالخط الأندلسى ، ويظهر فيه بعض الميل إلى الاقتباس من الحروف الإفرنجية ، وعندما تقلّص ظل العرب والأفارقة من الأندلس وتلاشى ملكهم بها ، فانتشروا فى عدوة المغرب وإفريقية منذ ظهور الدولة اللمتونية ، غلب خطهم الأندلسى على الخط الإفريقى القديم وعفى عليه ، إلا بقايا منه ظلت ببلاد الجريد التى لم يخالط أهلُها كتاب الأندلس .

وقد اكتسب الخط الأندلسى بالمغرب حياة جديدة وجمالاً جديدًا ، ولكنه

---

(١) وهو الوزير أبو على محمد بن على بن الحسن ، من وزراء الدولة العباسية ، ولد سنة ٢٧٢ وتوفى سنة ٣٢٨ .

(٢) المقدمة ٣٦٦ .

لم يلبث أن اضمحل ، وصار كما يقول ابن خلدون [١] : « مائلًا إلى الرداءه ، بعيدا عن الجودة » .

وليس يعنى هذا القول أن الخط الأندلسى انقرض وصار إلى الزوال ، لكنه يعنى أنه لم يعد الخطُّ الغالب ، وإنما كان يصطنعه قليل من الناس .

ويتضح من كلام ابن خلدون فى مقدمته أن ماسماه المتأخرون « الخط المغربى » إنما هو الحالة التى صار إليها الخط الأندلسى الجميل .

وابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ لم يعرف هذه التسمية – أعنى الخط المغربى – التى تدل على الخط الحديث الساذج المشتق من الأندلسى .

والخط الأندلسى يمتاز عن الخط المغربى بما شيع فيه من الاستدارات وتداخل الكلمات وإطالة أواخر الحروف ، والعناية بتنسيق الكتابة وتحسينها . ويشتركان فى طريقة النقط ، فالفاء لاتوضع فوقها النقطة كما يضعها المشارقة ، وإنما تجعل فى أسفل الحرف ، والقاف لا توضع فوقها نقطتان ، بل توضع فوقها نقطة واحدة .

والترتيب الهجائى للحروف الأندلسية والمغربية يخالف طريقة المشارقة ؛ ومن هنا اختلف ترتيب بعض معاجمهم وكتب رجالهم عن ترتيب المشارقة ؛ يظهر ذلك لمن نظر فى معجم ما استعجم للبكرى نشرة وستنفلد ، ومشارق الأنوار للقاضى عياض .

وهذا ترتيب حروفهم : (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ى) .

* * *

(١) المقدمة ٣٦٧ .

أُصُوْل النُّصُوص

١ - أعلى النصوص هى المخطوطات التى وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب واسم مؤلفه ، وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف وكتبها بنفسه ، أو يكون قد أشار بكتابتها ، أو أملاها ، أو أجازها ؛ ويكون فى النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها أو إقراره لها .

ومن ذلك ما صنعه أبو عمر الزاهد غلام ثعلب ، الذى ألف كتابه ست مرات [١] يزيد فى كل منها شيئًا عند قراءتها عليه ، وأملى على الناس فى العرضة الأخيرة ما نسخته : « قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد : هذه العرضة هى التى تفرد بها أبو إسحاق الطبرى آخر عرضة ، أسمعها بعده ، فمن روى عنى فى هذه النسخة هذه العرضة حرفًا واحدًا ليس من قولى فهو كذاب علىّ ، وهى من الساعة إلى الساعة من قراءة أبى إسحاق على سائر الناس ، وأنا أسمعها حرفًا حرفًا » .

وأمثال هذه النسخ تسمى نسخة الأم .

وهنا أمر قد يوقع المحقق فى خطأ جسيم ، وهو أن بعض الغافلين من الناسخين قد ينقل عبارة المؤلف فى آخر كتابه ، وهى فى المعتاد نحو « وكتب فلان » أى المولف ، ثم لا يعقب الناسخ على ذلك بما يشعر بنقله عن نسخة الأصل ، فيظن القارئ أنها هى نسخة المؤلف . وهذه مشكلة تحتاج إلى فطنة المحقق وخبرته بالخط والتاريخ والورق [٢] .

٢ - وتلى نسخة الأم النسخة المأخوذة منها ، ثم فرعها ثم فرع فرعها وهكذا . والملحوظ أن ذكر سلسلة الأخذ فى الكتب الأدبية قليل ، على حين تظفر الكتب الدينية واللغوية بنصيب وافر من ذكر هذه السلاسل .

---

(١) ابن النديم ١١٣ - ١١٤ .

(٢) انظر مثيل ذلك فيما سيأتى ص ٣٦ - ٣٧ .

وقد تخلو المخطوطات من بعض هذه الحدود ، فيكون ذلك مدعاة للتحقيق وموجبا للبحث الأمين ، حتى يؤدَّى النص تأدية مقاربة .

وهذا الضرب الثانى من المخطوطات يعد أصولًا ثانوية إن وجد معها الأصل الأول ؛ وأما إذا عدم الأصل الأول فإن أوثق هذه المخطوطات يرتقى إلى مرتبته ، ثم يليه ماهو أقل منه وثوقًا .

٣ - وهناك نوع من الأصول هو كالأبناء الأدعياء ، وهى الأصول القديمة المنقولة فى أثناء أصول أخرى ؛ فقد جرى بعض المؤلفين على أن يضمنوا كتبهم - إن عفوًا وإن عمدًا - كُتُباً أخرى أو جمهورًا عظيمًا منها . ومن هؤلاء ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة ، فقد ضمن ذلك الشرح كتبًا كثيرة ، أذكر منها وقعة صِفِّين التى أمكننى أن أستخرجها نسخة كاملة لا ينقصها إلا نحو عشرين صفحة من نحو ٣٥٠ صفحة بعد أن قضيت فى ذلك قُرابة الشَّهر ، وقد بينتُ ذلك بالأرقام فى مقدمتى لوقعة صفين التى نشرتها سنة ١٣٦٥ (١) .

ومنها جمهور كبير من كتاب المغازى للواقدى ، اقتبسه فى أثناء كتابه ، وهو فى الجزء الثالث من ص ٣١٨ - ٤٠٧ أى نحو مائة صفحة كبيرة تبلغ ثلاثمائة صفحة صغيرة .

ولعل أظهر مثال للأصول المضمنة ما أورده البغدادى صاحب خزانة الأدب ، فقد أودعها كثيرًا من صغار الكتب النادرة ، منها كتاب فرحة الأديب لأبى محمد الأسود الأعرابى ، وكتاب اللصوص لأبى سعيد السكرى ؛ كما تضمن قدرًا صالحاً من كتب النحو وكتب شرح الشواهد النحوية .

---

(١) وكذا فى نشرتى الثانية لها سنة ١٣٨٢ .

وهذا النوع من الأصول لا يخرج كتابًا محققًا ، وإنما يستعان به فى تحقيق النص .

وقد تهدَّى بعض الأدباء [١] إلى نصوص من كتاب العثمانية للجاحظ ونشرها مع الرد عليها لأبى جعفر الإسكافى ، نقل ذلك كله من شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد . وكنت أحسب أن تلك النصوص تمثل على الأقل نموذجًا من الأصل ، ولكن عندما وقعت إلىَّ نسخة العثمانية المخطوطة تيقنت أن ما فعله ابن أبى الحديد لا يعدو أن يكون إيجازًا مخلًا لنص الجاحظ بلغ أن أوجزت صفحتان منه فى نحو ستة أسطر (انظر مثلا الفقرة السادسة من كلام الجاحظ فى العثمانية ص ٦ من رسائل الجاحظ للسندوبى ، وقارنها بما فى نشرتى للعثمانية ٢٧ : ٤ - ٣١ : ٥) .

وكذلك كان يفعل الأقدمون ، ينقلون النصوص أحيانًا وتكون لهم الحرية التامة فى التصرف فيها وترجمتها بلغتهم أيضًا ، إلا إذا حققوا النقل ونصوا على أن هذا هو لفظ المنقول ، فيقولون مثلا : « انتهى بنصه » ، فتكون مسئوليتهم فى ذلك خطيرة ، إذْ حَمَّلوا أنفسهم أمانة النقل .

فنشر أمثال هذه النصوص ودعوى أنها محققة ، يُعدُّ خطأً جسيمًا فى فن التحقيق وفى ضمير التاريخ .

٤ - والنسخ المطبوعة التى فقدت أصولها أو تعذّر الوصول إليها يُهدرها كثير من المحققين ، على حين يَعدُّها بعضهم أصولاً ثانوية فى التحقيق ، وحجتهم فى ذلك أن ما يؤدَّى بالمطبعة هو عين ما يؤدَّى بالقلم ، ولا يعدو الطبع أن يكون انتساخًا بصورة حديثة . وإنى لأذهب إلى هذا الرأى مع تحفّظ شديد ، وهو أن يتحقق الاطمئنان إلى ناشر المطبوعة والثقة به ، فما نشره أمثال المصححين القدماء كالعلاّمة نصر الهورينى ، والشيخ قطة العدوى ، وكذا أعلام المستشرفن الثقات أمثال وستنفلد [٢] الألمانى (Ferdinand Wustenfeld)١٨٠٨-١٨٩٩

---

(١) هو الأستاذ حسن السندوبى فى (رسائل الجاحظ) ص ١ - ٦٦ .

(٢) ألف وحقق نحو مائتى كتاب وصغير كبير . معجم المطبوعات لسركيس . انظر منه النهر ١٩١٧ - ١٩١٨ .

وجاير الألمانى (Rudolf Geyer) ١٨٦١ - ١٩٢٩ وبيفان الهـــولندى (Bevan) ١٨٥٩ - ١٩٣٤ ولايل الإنجليزى (Charles Lyall) ١٨٤٥ - ١٩٢٠ جدير بأن يكون أصولًا (ثانوية) ، كما تعد رواياتهم لأصولهم - إن لم نتمكن من الظفر بتلك الأصول - رواية ينتفع بها فى مقابلة النصوص ، لأنهم منزلون بمنزلة الرواة الثقات ، وروايتهم منزلة منزلة ما يسميه المحدّثون بالوجادة .

وأما الطبعات التى تخرج للتجارة ولا يقوم عليها محقق أمين فهى نسخ مهدرة بلا ريب ، ومن الإخلال بأمانة العلم والأداء أن يعتمد عليها فى التحقيق .

٥ - وأما المصوّرات من النسخ فهى بمنزلة أصلها ، ما كانت الصورة واضحة تامة تؤدى أصلها كل الأداء ، فمصورة النسخة الأولى هى نسخة أولى ، ومصورة الثانوية ثانوية أيضًا . وهكذا .

٦ - وهنا تعـــرض مشكلة المـــسوَّدات والمبيَّضات ، وهو اصطلاح قديم جدًا . ويراد بالمسوَّدة النسخة الأولى للمؤلف قبل أن يهذّبها ويخرجها سوية . أما المبيضة فهى التى سويت وارتضاها المؤلف كتابًا يخرج للناس فى أحسن تقويم .

ومن اليسير أن يعرف المحقق مسوّدة المؤلف بما يشيع فيها من اضطراب الكتابة ، واختلاط الأسطر ، وترك البياض ، والإلحاق بحواشى الكتاب ، وأثر المحو والتغيير . . إلى أمثال ذلك .

ومسوَّدة المؤلف إن ورد نص تاريخى على أنه لم يخرج غيرها كانت هى الأصل الأول . مثال ذلك ماذكره ابن النديم [١] من أن ابن دريد صنع كتاب أدب الكاتب على مثال كتاب ابن قتيبة ، ولم يجرِّده من المسوَّدة .

---

(١) الفهرست ٩٢ .

وكتاب « البارع فى اللغة » لأبى على القالى . قال الزبيدى [١] : « ولا نعلم أحدًا من العلماء المتقدمين والمتأخرين ألف نظيره فى الإحاطة والاستيعاب . وتُوفِّى قبل أن ينقحه ، فاستخرج بعده من الصكوك » .

وكذا ورد فى إرشاد السارى شرح صحيح البخارى للقسطلانى [٢] أنَّ يحيى بن محمد بن يوسف الكرمانى ، وهو ولد الكرمانى شارح البخارى ، صنع أيضًا شرحًا للبخارى سماه « مجمع البحرين وجواهر الحبرين » ، قال : « وقد رأيته ، وهو فى ثمانية أجزاء كبار بخطه ، مسوّدة » .

وكذا ذكر القسطلانى شرح شمس الدين البرماوى بصحيح البخارى ، المسمى باللامع الصبيح ، قال : « ولم يبيَّض إلا بعد موته » .

وإن لم يرد نص كانت فى مرتبة النصوص الأولى ، ما لم تعارضها المبيضة فإنها تجبُّها بلا ريب .

٧ - وأما مبيضة المؤلف فهى الأصل الأول ، وإذا وجدت معها مسوَّدته كانت المسوَّده أصلًا ثانويًا استئناسيًّا لتصحيح القراءة فحسب وقد عرف عن بعض المؤلفين أنهم ليست لهم مسودات قال ياقوت فى ترجمة محمد بن مسعود ابن مصلح الشيرازى و « ومسودته مبيضة » [٣] .

٨ - على أن وجود نسخة للمؤلف لا يدلنا دَلالة قاطعة على أن هذه هى عينها النسخة التى اعتمدها المؤلف ، فإننا نعرف أن بعض المؤلفين يؤلف كتابه أكثر من مرة ، وإذا استعملنا لغة الناشرين قلنا : إنه قد يصدر بعد الطبعة الأولى طبعة ثانية . فالمعروف أن الجاحظ ألف كتابه البيان والتبيين مرتين ، كما ذكر ياقوت فى معجم الأدباء [٤] وقد ذكر أن الثانية « أصح وأجود » . وقد ظهر لى ذلك جليًا فى أثناء تحقيقى لهذا الكتاب ، وأشرتُ إلى ذلك فى مقدمته [٥] .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٢٠٣ - ٢٠٥ .

(٢) القسطلانى ١ : ٤٢ .

(٣) البغية : ٣٨٩ .

(٤) ج ١٦ ص ١٠٦ .

(٥) مقدمة البيان والتبيين ص ١٦ - ١٧ .

وكتاب الجمهرة لابن دريد قال ابن النديم [1] : « مختلف النسخ كثير الزيادة والنقصان ، لأنه أملاه بفارس وأملاه ببغداد من حفظه ، فلما اختلف الإملاء زاد ونقص » . ثم قال : « وآخر ما صح من النسخ نسخة أبى الفتح عبد الله بن أحمد النحوى ، لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه » . وهذه سابقة قديمة فى جواز تلفيق النُّسَخ .

ومن أمثلة اختلاف النسخ الأولى ما رواه الخطيب البغدادى [2] رواية عن محمد بن الجهم قال : « كان الفراء يخرج إلينا وقد لبس ثيابه فى المسجد الذى فى خندق عبويه ، وعلى رأسه قلنسوة كبيرة ، فيجلس فيقرأ أبو طلحة الناقط عُشرًا من القرآن ، ثم يقول له : أمسك . فيملى من حفظه المجلس ، ثم يجىء سلمة بعد أن ننصرف نحن ، فيأخذ كتاب بعضنا فيقرأ عليه ، ويزيد وينقص ، فمن هنا وقع الاختلاف بين النسختين » .

ومن أمثلته أيضًا ما ورد فى كتاب التصحيف للعسكرى [3] ، ونقله البغدادى فى الخزانة [4] من قوله فى باب ما يشكل ويصحَّف من أسماء الشعراء . « قال أبو الحسن على بن عبدوس [5] الأرَّجانى ، وكان فاضلًا متقدماً ، ونظر فى كتابى هذا ، فلما بلغ هذا الباب قال لى : كم عدة أسماء الشعراء الذين ذكرتَهم ؟ فقلت : مائة ونيف ... » إلى آخر القصة .

ومنه يفهم أن النسخة التى نظر فيها الأرَّجانى لم يكن فيها هذا الخبر ، وأن هذا الخبر من قبيل الزيادة والتنقيح الذى لم يكن فى النسخة الأولى .

---

(١) الفهرست ٩١ .

(٢) تاريخ بغداد ١٤ : ١٥٢ – ١٥٣ .

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٣٧٠ .

(٤) الخزانة : ٣ : ٥١٠ بولاق « حيث الكلام على تحقيق ضبط حريث بن محفض » .

(٥) ضبط « عبدوس » بضم العين فى بغية الوعاة ٢٢٩ .

هذاومن المتواتر فى ترجمة الفراء هذا أنه أملى كتبه كلها حفظًا ، لم يأخذ بيده نسخة إلا فى كتابين : كتاب ملازم ، وكتاب يافع ويفعة ، قال أبو بكر بن الأنبارى : « ومقدار الكتابين خمسون ورقة ، ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة » .

ولعل أظهر مثال لتكرار التأليف ما رواه ابن النديم [١] فى الكلام على كتاب الياقوت لأبى عُمر الزاهد المتوفى سنة ٣٤٥ ذكر أن هذا الكتاب ظهر فى ست صور ، قضى مؤلفها فى تأليفها مابين سنتى ٣٢٦ ، ٣٣١ .

ونص ابن النديم فى الفهرست [٢] على أن نوادر الشيبانى ثلاث نسخ : كبرى ، وصغرى ، ووسطى . وكذا نوادر الكسائى ثلاث نسخ . وكذلك كتاب « نهج البلاغة » الذى ألفه الشريف الرضى ، ذكر ابن أبى الحديد [٣] فى شرحه أنه « ختم كتاب نهج البلاغة بهذا الفصل ، وكُتبت به نسخ متعددة ، ثم زاد عليه أن وفّى الزيادات التى نذكرها فيما بعد » .

ثم ذكر ابن أبى الحديد بعد ذلك [٤] فصولًا من هذه الزيادات ، وعقَّب عليها بقوله : « وأعلم أن الرضىَّ – رحمه الله – قطع كتاب نهج البلاغة على هذا الفصل ، وهكذا وجدت النسخة بخطه ، وقال : وهذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المنتزع من كلام أمير المؤمنين ، حامدين لله سبحانه على ما مَنَّ به من توفيقنا لضم ما انتشر من أطرافه ، وتقريب ما بعد من أقطاره ، ومقررين العزم كما شرطنا أوَّلاً على تفضيل أوراق من البياض فى آخر كل باب من الأبواب ، لتكون لاقتناص الشارد ، واستلحاق الوارد ، وما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض ، ويقعَ إلينا بعد الشذوذ ... » .

ثم قال ابن أبى الحديد نفسه : « ثم وجدنا نسخًا كثيرة فيها زيادات بعد

---

(١) الفهرست ١١٣ .
(٢) الفهرست ٨٢ .
(٣) شرح نهج البلاغة ٤ : ٣٧٨ .
(٤) شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٦ .

هذا الكلام قيل إنها وجدت في نسخة كُتبت في حياة الرضى - رحمه الله - وقرئت عليه فأمضاها وأذن في إلحاقها بالكتاب ، ونحن نذكرها » .

فهذا يبين لك أيضا أن نسخة المؤلف قد تتكرر ، ولا يمكن القطع بها ما لم ينصَّ هو عليها . وليس وجود خطّه عليها دليلًا على أنها النسخة الأم ، بل إن الأمر كله أمر اعتبارى لا قطعى .

وإذا رجعت إلى تقديمى لمجالس ثعلب [1] عرفت أن تلك المجالس قد ظهرت في صورٍ شتى .

وكثيرًا ما تتعرض كتب المجالس والأمالى للتغيير والتبديل ، والزيادة من التلاميذ والرواة . جاء في مقدمة تهذيب اللغة [2] للأزهرى عند الكلام على الأصمعى :

« وكان أملى ببغداد كتاباً في النوادر فزيد عليه ما ليس من كلامه . فأخبرنى أبو الفضل المنذرى عن أبى جعفر الغسانى عن سلمة قال :

جاء أبو ربيعة صاحب عبد الله بن طاهر صديق أبى السمراء ، بكتاب النوادر المنسوب إلى الأصمعى فوضعه بين يديه ، فجعل الأصمعى ينظر فيه ، فقال : ليس هذا كلامى كله ، وقد زيد فيه علىَّ ، فإن أحببتم أن أعْلم على ما أحفظه منه وأضرب على الباقى فعلت ، وإلا فلا تقرءوه . قال سلمة بن عاصم : فأعلم الأصمعىُّ على ما أنكر من الكتاب ، وهو أرجح من الثلث . ثم أمرَنا فنسخناه له » .

وشىء آخر جدير بالتنبيه ، وهو أن بعض المؤلفين يؤلف الكتاب الواحد على ضروبٍ شتى من التأليف ، ومن أمثلة ذلك التبريزى ، فسر الحماسة ثلاث مرات ، كما ذكر صاحب كشف الظنون ، قال : « شرح أولاً شرحًا صغيرًا ، فأورد كل قطعة من الشِّعر ثم شرحها وشرح ثانيًا بيتًا بيتًا ، ثم شرح شرحًا طويلًا

(١) ص ٢٤ - ٣٥ من التقديم . وانظر كذلك حواشى ص ١١٣ .

(٢) مقدمة تهذيب اللغة ١ : ١٥ .

مستوفيًا . وأول المتوسط : أما بعد حمد الله الذى لا يبلغ صفاته الواصفون » .
والشرح المتداول بهذا الاعتبار هو الشرح المتوسط . أما الصغير فمنه قطعة بدار الكتب المصرية (برقم ١١٩٥ أدب) تشمل باب الحماسة . أما الكبير فمما لم نهتد إلى معرفته .

ومما هو جدير بالذكر أن صاحب كشف الظنون ، وكذا البغدادى فى مقدمة خزانة الأدب ، ذكرا أن للزجّاجى أمالى ثلاثة : كبرى ، ووسطى ، وصغرى . لكنى أثبت فى مقدمة نشرتى لهذه الأمالى أنها واحدة ، وأن اختلافها فى تلك الصور الثلاث إنما هو من صنع التلاميذ والرواة ، وذلك بدراستى لتلك النصوص التى تُعزى مرة إلى الصغرى ، ومرة إلى الوسطى ، وأخرى إلى الكبرى (١) .

منازل النسخ :

وضح مما سبق أنه يمكن ترتيب أصول المحققات فى درجات شتى :

١ - فأولها نسخة المؤلف ، وقد سبق حدها وتعريفها (٢) .

٢ - وتليها النسخة المنقولة منها ، ثم فرعها وفرع فرعها وهكذا .

٣ - والنسخة المنقولة من نسخة المؤلف جديرة بأن تحل فى المرتبة الأولى إذا أعوزتنا نسخة المؤلف ، وهى كثيرًا ما تعوزنا .

٤ - وإذا اجتمعت لدينا نسخ مجهولات سلسلة النسب كان ترتيبها محتاجًا إلى حذق المحقق . والمبدأ العام أن تقدم النسخة ذات التاريخ الأقدم ، ثم التى عليها خطوط العلماء .

---

(١) انظر مقدمة أمالى الزجاجى ١٦ - ١٧ .

(٢) انظر ماسبق فى ص ٢٩ .

ولكننا إذا اعتبرنا بقدم التاريخ فقد نفاجأ بأن ناسخ أقدم النسخ مغمور أو ضعيف ، ونلمس ذلك فى عدم إقامته للنص أو عدم دقته ، فلا يكون قدم التاريخ عندئذ مسوِّغًا لتقديم النسخة ، فقد نجد أخرى أحدث تاريخًا منها ، وكاتبها عالم دقيق ، يظهر ذلك فى حرصه وإشارته إلى الأصل . فلا ريب فى تقديم هذه النسخة الأحدث تاريخًا .

وإذا اعتبرنا بخطوط العلماء على النسخة فقد توجد نسخة أخرى خالية من إشارات العلماء ، ولكنها تمتاز بأنها أصح متنًا وأكمل مادة ، يظهر ذلك لدارسها وفاحصها .

وعلى ذلك فإنه يجب مراعاة المبدأ العام ، وهو الاعتماد على قدم التاريخ فى النسخ المعدة للتحقيق ، ما لم يعارض ذلك اعتبارات أخرى تجعل بعض النسخ أولى من بعض فى الثقة والاطمئنان ، كصحة المتن ، ودقة الكاتب ، وقلة الأسقاط ، أو تكون النسخة مسموعة قد أثبت عليها سماع علماء معروفين ، أو مُجازة قد كتب عليها إجازات من شيوخ موثقين .

ومن غريب ما لحظه الأستاذ الشيخ أحمد شاكر ، فى تحقيقه لرسالة الشافعى ، وجود إجازة بخط الناسخ – وهو الربيع تلميذ الشافعى – ولكنها ليست إجازة رواية ، كالمألوف فى الإجازات ، ولكنها إجازة النسخ ، ونصها :

« أجاز الربيع بن سليمان صاحب الشافعى نسخ كتاب الرسالة ، وهى ثلاثة أجزاء فى ذى القعدة سنة خمس وستين ومائتين . وكتب الربيع بخطه » .

على أنه يجدر بفاحص النسخة أن يقف طويلاً عند تاريخ النسخة . فكثير من الناسخين ينقل عبارة التاريخ التى تثبت فى العادة فى نهاية النسخة ، ينقلها كما هى ، غير مُراعٍ للفرق الزمنى بينه وبين الناسخ الأول ، فيخيل للفاحص أنه إزاء نسخة عتيقة على حين يكون هو إزاء نسخة كتبت بعدها بنحو قرنين من

الزمان [١] . وهنا يتحكم الخط والخبرة به ، والمداد والخبرة به ، واسم الناسخ الأول والثانى ، فى تحقيق هذا التاريخ .

* * *

كَيْفَ تُجْمَع الأصول :

لعل من البديهى أنه لا يمكن بوجه قاطع أن نعثر على جميع المخطوطات التى تخص كتابًا واحدًا إلا على وجه تقريبى . فمهما أجهد المحقق نفسه للحصول على أكبر مجموعة من المخطوطات فإنه سيجد وراءه معقبًا يستطيع أن يظهر نسخًا أخرى من كتابه ، وذلك لأن الذى يستطيع أن يصنعه المحقق ، هو أن يبحث فى فهارس المكتبات العامة ، على ما بها من قصور وتقصير ، وهو ليس بمستطيع أن يبحث فيها كلها على وجه التدقيق ، فإن عددها يربى على الألف فى بلاد الشرق والغرب .

وكتاب الفيكونت فيليب دى طرازى المسمى « خزائن الكتب العربية فى الخافقين » يتيح لقارئه أن يعلم مقدار ضخامة عدد المكتبات العامة التى تناهز ألفًا وخمسمائة مكتبة [٢] .

ويبقى عليه بعد ذلك المكتبات الخاصة ، وليس يمكن المحقق أن يدَّعىَ إلمامًا تامًا بما فيها ، أو يفكر فى استيعاب ما تتضمنه من نفائس المخطوطات .

فليس وراء الباحث إلا أن يقارب البحث مقاربة مجتهدة ، بحيث يغلب على ظنه أنَّه قد حصل على قدر صالح مما يريد .

---

(١) انظر مثيل ذلك فيما سبق ص ٢٩ .

(٢) ذكر أن منها فى مصر ١٦ مكتبة وفى الجزائر ٨ وفى فلسطين ٦ ولبنان ٣ وسوريا والعراق والحجاز واليمن ١٥ والمغرب الأقصى ١٠ وتونس ٧ والولايات المتحدة ٢٨٥ وألمانيا والنمسا ١٤٥ والاتحاد السوفياتى ١٢٠ وبريطانيا ٧٦ وفرنسا ٦٧ وإيطاليا ٤٨ وسويسرا ٢١ وهولندا ١٥ وبلجيكا ١٣ واليابان ٩ والدانمرك ٦ واليونان ٢ والهند ٣ وإيران ٢ . وفى هذه المكتبات جميعًا نحو ٢٦٢ مليون مجلد . وتاريخ هذا الإحصاء هو سنة ١٩٤٨ .

وكتاب بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى ، يعد من أجمع المراجع التى عنيت بالدلالة على مواضع المخطوطات . وكذلك كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان . فإذا أضاف إليها الباحث أن ينقب بنفسه فى فهارس المكتبات العامة وملحقاتها الحديثة ، وساءل الخبراء بالمخطوطات مستدلاً على مواضعها ، أمكنه أن يقارب وأن يقع على ماتطمئن نفسه إليه .

* * *

فَحْصُ النُّسَخ :

يواجه فاحص المخطوطة جوانب شتى يستطيع بدراستها أن يزن المخطوطة ويقدرُها قدرها .

١ - فعليه أن يدرس ورقها ليتمكن من تحقيق عمرها ، ولايخدعه ما أثبت فيها من تواريخ قد تكون مزيفة . ومما يجب التنبه له أن ليست آثار العُثّ والأرَضة والبلى تدل دلالة قاطعة على قدم النسخة ، فإننا نشاهد تلك الآثار فى مخطوطات قد لا يتجاوز عمرها خمسين عامًا ، كما رأينا بعضًا من المخطوطات الحديثة يزوِّرها التجار بطريقة صناعية حتى يبدو ورقها قديمًا باليًا . ويروى القفطى [١] أن ابن سينا صنع ثلاثة كتب أحدها على طريقة ابن العميد ، والثانى على طريقة الصاحب ، والثالث على طريقة الصابى ، وأمر بتجليدها وإخلاق جلدها ، لتجوز بذلك على أبى منصور الجبان . ولا ريب أن هذا التزييف قصد به المزاح ، ولكنه يدلنا على أن التاريخ يحمل فى بطونه دلائل على حدوث التزييف .

وكما يحدث التزييف فى التأليف يحدث أيضًا فى الخط . ويروى التاريخ أن بعض الحذَّاق قد تمكن من تقليد الخطوط تقليدًا متقنًا . ذكر ابن الأثير أن على ابن محمد الأحدب المزوِّر [٢] ، كان يكتب على خط كلٍّ واحد ، فلا يشك المكتوب عنه أنه خطه .

---

(١) إخبار العلماء ٢٧٥ .

(٢) كانت وفاته سنة ٣٧٠ كما فى الكامل لابن الأثير ٩ : ٨ .

٢ – وأن يدرس المداد فيتضح له قُرب عهده أو بُعد عهده .

٣ – وكذلك الخط ، فإن لكل عصر نهجًا خاصًّا فى الخط ونظام كتابته يستطيع الخبير الممارس أن يحكم فى ذلك بخبرته .

٤ – وأن يفحص اطِّراد الخط ونظامه فى النسخة ، فقد تكون النسخة ملفقة فيهبط ذلك بقيمتها أو يرفعها .

٥ – وعنوان الكتاب وما يحمل صدره من إجازات وتمليكات وقراءات .

٦ – كما أنه قد يجد فى ثنايا النسخة ما يدل على قراءة بعض العلماء أو تعليقاتهم .

٧ – وأن ينظر إلى أبواب الكتاب وفصوله وأجزائه ، حتى يستوثق من كمال النسخة وصحة ترتيبها . وكثير من الكتب القديمة يلتزم نظام (التعقيبة) ، وهى الكلمة التى تكتب فى أسفل الصفحة اليمنى غالبًا لتدلَّ على بدء الصفحة التى تليها ، فبتتبع هذه التعقيبات يمكن الاطمئنان إلى تسلسل الكتاب .

٨ – وأن ينظر فى خاتمة الكتاب لعله يتبين اسم الناسخ وتاريخ النسخ وتسلسل النسخة .

هذه هى أهم الجوانب الجديرة بعناية الفاحص ، وقد يجد أمورًا أخرى ، تعاونه على تقدير النسخة ، فلكل مخطوط ظروف خاصة تستدعى دراسة خاصة .

* * *

التحقيق

هذا هو الاصطلاح المعاصر [1] الذى يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة .

فالكتاب المحقق هو الذى صح عنوانه ، واسم مؤلفه ، ونسبة الكتاب إليه ، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التى تركها مؤلفه .

وعلى ذلك فإن الجهود التى تبذل فى كل مخطوط يجب أن تتناول البحث فى الزوايا التالية :

١ – تحقيق عنوان الكتاب .

٢ – تحقيق اسم المؤلف .

٣ – تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه .

٤ – تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربًا لنص مؤلفه .

وبديهى أن وجود نسخة المؤلف – وهو أمر نادر ولا سيما فى كتب القرون الأربعة الأولى – لا يحوجنا إلى مجهود إلا بالقدر الذى نتمكن به من حسن قراءة النص ؛ نظرًا إلى ما قد يوجد فى الخط القديم من إهمال النقط والإعجام ، ومن إشارات كتابية لا يستطاع فهمها إلا بطول الممارسة والإلف . وهذا الأمر يتطلب عالمًا فى الفن الذى وضع فيه الكتاب ، متمرسًا بخطوط القدماء .

وبهذه المناسبة أذكر أن إهمال النقط والإعجام قد امتد شىء منه إلى قرون متأخرة ، فالناظر فى خط ابن حجر – وهو من علماء القرن التاسع – يرى هذا الإهمال بوضوح تام .

---

(١) أصل التحقيق من قولهم : حقق الرجل القول : صدقه ، أو قال : هو الحق . والجاحظ يسمى العالم المحقق « محقا » ، جاء فى رسالة فصل ما بين العداوة والحسد . من رسائل الجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون ١ : ٣٣٨ – ٣٣٩ : « إنه لم يخل زمن من الأزمان فيما مضى من القرون الذاهبة إلا وفيه علماء محقون قرءوا كتب من تقدمهم ودارسوا أهلها » ، ثم قال : « واتخذهم المعادون للعلماء المحقين عدة » .

والإحقاق : الإثبات ، يقال أحققت الأمر إحقاقا ، إذا أحكمته وصححته .

تَحْقِيق العُنْوان :

وليس هذا بالأمر الهيِّن ، فبعض المخطوطات يكون خاليًا من العنوان :

(١) إمَّا لفقد الورقة الأولى منها .

(٢) أو انطماس العنوان .

(٣) وأحيانا يثبت على النسخة عنوان واضح جلى ولكنه يخالف الواقع :

(أ) إما بداع من دواعى التزييف .

(ب) وإما لجهل قارئٍ ما وقعت إليه نسخة مجردة من عنوانها فأثبت ما خالَه عنوانَها .

١ - فيحتاج المحقق فى الحالة الأولى إلى إعمال فكره فى ذلك بطائفة من المحاولات التحقيقية ، كأن يرجع إلى كتب المؤلفات كابن النديم ، أو كتب التراجم ، أو أن يتاح له الظفر بطائفة منسوبة من نصوص الكتاب مضمنة فى كتاب آخر ، أو أن يكون له إلف خاص أو خبرة خاصَّة بأسلوب مؤلف من المؤلفين وأسماء ما ألف من الكتب ، فتضع تلك الخبرة فى يده الخيط الأول للوصول إلى حقيقة عنوان الكتاب .

٢ - والانطماس الجزئى لعنوان الكتاب مما يساعد كثيرًا على التحقُّق من العنوان الكامل متى وضح معه فى النسخة اسم المؤلف ، فإن تحقيقه موكول إلى معرفة ثبت مصنفات المؤلف وموضوع كل منها متى تيسَّر ذلك .

٣ - وأما التزييف المتعمد فيكون بمحو العنوان الأصيل للكتاب وإثبات عنوان لكتاب آخر أجل قدرًا منه ليلقى بذلك رواجًا ، أو يكون ذلك مطاوعةً لرغبة أحد جماع الكتب . وقد ينجح المزيف نجاحًا نسبيًا بأن يقارب ما بين خطه ومداده وخط الأصل ومداده ، فيجوز هذا على من لا يصطنع الحذر والريبة فى ذلك .

وأما التزييف الساذج فمنشؤه الجهل ، فيضع أحد الكتاب فى صدر الكتب الأغفال عنوانًا يخيَّل إليه أنه هو العنوان الأصيل .

تحقيق اسم المؤلف :

إن كل خطوة يخطوها المحقق لابد أن تكون مصحوبة بالحذر ، فليس يكفى أن نجد عنوان الكتاب واسم مؤلفه فى ظاهر النسخة أو النسخ لنحكم بأن المخطوطة من مؤلفات صاحب الاسم المثبت ، بل لابد من إجراء تحقيق علمى يطمئن معه الباحث إلى أن الكتاب نفسه صادق النسبة إلى مؤلفه .

وأحيانًا تفقد النسخة النص على اسم المؤلف ، فمن العنوان يمكن التهدى إلى ذلك الاسم ، بمراجعة فهارس المكتبات ، أو كتب المؤلفات ، أو كتب التراجم التى أخرجت إخراجًا حديثًا وفهرست فيها الكتب ، كمعجم الأدباء لياقوت ، وإنباه الرواة للقفطى ، أو غير ذلك من الوسائل العلمية .

على أن اشتراك كثير من المؤلفين فى عنوانات الكتب يحملنا على الحذر الشديد فى إثبات اسم المؤلف المجهول ، إذ لا بد من مراعاة اعتبارات تحقيقيَّة ، ومنها المادة العلمية للنسخة ، ومدى تطويعها لما يعرفه المحقق عن المؤلف وحياته العلمية وعن أسلوبه وعن عصره .

والمحقق إذا عثر على طائفة معقولة من الكتب منسوبة إلى مؤلف معين فى نقل من النقول ، كان ذلك مما يؤيد ما يرجِّحه أو يقطع به فى ذلك .

وأحيانًا تدل المصطلحات الرسمية فى الكتاب على ما يوجهنا إلى تعيين عصر المؤلف ، يظهر ذلك لمن قرأ شيئًا من هذه المصطلحات فى صبح الأعشى للقلقشندى ، والتَّعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمرى [١] .

وقد يعترى التحريف والتصحيف أسماء المؤلفين المثبتة فى الكتب ، فالنصرى قد يصحف بالبصرى، والحسن بالحسين ، والخراز بالخزاز ، وكل أولئك يحتاج إلى تحقيق لايكتفى فيه بمرجع واحد ، فقد يكون ذلك المرجع فيه عين

---

(١) طبع فى مطبعة العاصمة سنة ١٣١٢ فى ٢٤٠ صفحة .

ذلك التصحيف أو تصحيف آخر أقسى منه ، فليس هنا بُدٌّ من اجتلاب الطمأنينة في ذلك بالبحث العلمي الواسع .

وما قيل في تزييف العناوين يقال أيضًا في تزييف أسماء المؤلفين ، لذلك لم يكن بد من أن يتنبه المحقق لهذا الأمر الدقيق .

* * *

تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه :

وليس بالأمر الهين أن نؤمن بصحة نسبة أى كتاب كان إلى مؤلفه ، ولا سيما الكتب الخاملة التي ليست لها شهرة ، فيجب أن تعرض هذه النسبة على فهارس المكتبات والمؤلفات الكتبية وكتب التراجم ، لنستمد منها اليقين بأن هذا الكتاب صحيح الانتساب .

وقديمًا تكلم الناس في كتاب العين المنسوب إلى الخليل . وقد ساق السيوطي في المزهر[١] نصوص العلماء وأقوالهم في القدح في نسبة هذا الكتاب ، ويكادون يجمعون أن الخليل وضع منهجه ورسمه ، وأن العلماء حشوه من بعده .

وقد ذكر السيرافي في كتابه أخبار النحويين البصريين [٢] أن الخليل « عمل أول كتاب العين » .

والذى نبه العلماء إلى ذلك دراستهم للكتاب ، وتأدِّيهم إلى أن مثل هذا التأليف لا يصح أن ينسب إلى رجل قارب الغاية في الفضل مثل الخليل .

فمعرفة القدر العلمي لمؤلف مما يسعف في التحقُّق بنسبة الكتاب .

على أن بعض المؤلفين تتفاوت أقدارهم العلمية وتختلف اختلافاً ظاهرًا بتفاوت أعمارهم ، وباختلاف ضروب التأليف التي يعالجونها ، فنجد المؤلف الواحد يكتب في صدر شبابه كتاباً ضعيفًا ، فإذا عَلَت به السن وجدت بَونًا شاسعًا بين يوميه . وهو كذلك يكتب في فن من الفنون قويًا متقنًا ، على حين

---

(١) المزهر ١ : ٨٦ - ٩٣ .

(٢) ص ٣٨ نشرة فريتس كرنكو .

يكتب فى غيره وهو من الضعف على حال . فلا يصح أن يجعل هذا القياس حاسمًا باطراد ، فى تصحيح نسبة الكتاب .

وَتُعدُّ الاعتبارات التاريخية من أقوى المقاييس فى تصحيح نسبة الكتاب أو تزييفها ، فالكتاب الذى تحشد فيه أخبار تاريخية تالية لعصر مؤلفه الذى نسب إليه جدير بأن يسقط من حساب ذلك المؤلف ، ومن أمثلة ذلك كتاب نُسب إلى الجاحظ ، وعنوانه « كتاب تنبيه الملوك والمكايد » ، ومنه صورة مودعة بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٤٥ أدب . وهذا الكتاب زيف لا ريب فى ذلك ؛ فإنك تجد من أبوابه باب « نكت من مكايد كافور الإخشيدى » و « مكيدة توزون بالمتقى لله » . وكافور الإخشيدى كان يحيا بين سنتى ٢٩٢ و ٣٥٧ والمتقى لله كان يحيا بين سنتى ٢٩٧ و ٣٥٧ . فهذا كله تاريخ بعد وفاة الجاحظ بعشرات من السنين . وأعجب من ذلك مقدمة الكتاب التى لا يصح أن تنتمى إلى قلم الجاحظ وهذا صدرها : « الحمد لله الذى افتتح بالحمد كتابًا ، وفتح للعبد إذا وافا (وافى) إليه بابًا ، قسم بين خليقته فطوروا أطوارًا وتحزبوا أحزابًا ، وأنفذ فيهم سهمه ، وأمضى فيهم حكمه ، وجعل لكل شىء أسبابًا ، فهم دائرون فى دائرة إرادته لا يستطيعون عنها انقلابًا ، داهشون فى بدائع حكمته ، ومشيئته وإرادته ، يعز من يشاء ، ويرزق من يشاء ..... » .

وليس هذا الأسلوب بحاجة إلى التعليق ، كما أن الكتاب ليس بحاجة إلى أن نسهب فى نفى نسبته إلى أبى عثمان الجاحظ .

* * *

تَحقِيق مَتْنِ الْكِتَاب :

ومعناه أن يؤدى الكتاب أداءً صادقًا كما وضعه مؤلفه كَمًّا وكيفًا بقدر الإمكان ، فليس معنى تحقيق الكتاب أن نلتمس للأسلوب النازل أسلوبًا هو أعلى منه ، أو نُحِلَّ كلمة صحيحة محل أخرى صحيحة بدعوى أن أولاهما أولى

بمكانها ، أو أجمل ، أو أوفق ، أو ينسب صاحب الكتاب نصًّا من النصوص إلى قائل وهو مخطىء فى هذه النسبة فيبدل المحقق ذلك الخطأ ويحل محله الصواب ، أو أن يخطىء فى عبارة خطأ نحويًا دقيقًا فيصحح خطأه فى ذلك ، أو أن يوجز عباراته إيجازًا مخلاً فيبسط المحقق عبارته بما يدفع الإخلال ، أو أن يخطىء المؤلف فى ذكر عَلَم من الأعلام فيأتى به المحقق على صوابه .

وقد وجدت الأزهرى صاحب التهذيب يذكر فى مقدمة معجمه أبا عمرو الشيبانى أنه إسحاق بن مراد ، فحدثتنى نفسى أن أصححه بمرار كما هو معروف متيقَّن من كتب التراجم ، ولكنى وجدت أن القدماء قد سجلوا عليه هذا الخطأ قديمًا ، وأنهم وجدوا ذلك بخط الأزهرى [(١)] . وبذلك لم تكن لى مندوحة من أن أبقى الاسم على خطئه كما هو [(٢)] .

ووجدت ابن إسحاق فى السيرة [(٣)] يلقب أسماء بنت أبى بكر بذات النطاق ، وعهدى وعهد الناس بها أنها « ذات النطاقين » فهممت – ولم أفعل – أن أجعلها : ذات النطاقين ، ولكنى لم ألبث أن وجدت ابن هشام يعقِّب على ذلك بقوله : « وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين . وتفسيره أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين ، فعلَّقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر » . فلم يبدل ابن هشام « ذات النطاق » أمانة منه وحفاظًا على النص ، مع شهرة اللقب الثانى وورود حديث : « أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة » .

ليس تحقيق المتن تحسينًا أو تصحيحًا ، وإنما هو أمانة الأداء التى تقتضيها أمانة التاريخ ، فإن متن الكتاب حكم على المؤلف ، وحكم على عصره وبيئته ،

---

(١) إنباه الرواة للقفطى ١ : ٢٢٥ – ٢٢٦ .

(٢) انظر مقدمة تهذيب اللغة ١ : ١١ وما كتبته فى الحاشية هناك .

(٣) السيرة ٣٢٩ جوتنجن ، وتهذيب السيرة ١٢٤ .

وهى اعتبارات تاريخية لها حرمتها ، كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوان على حق المؤلف الذى له وحده حق التبديل والتغيير .

وإذا كان المحقق موسومًا بصفة الجُرأة فأَجْدَرُ به أن يتنحَّى عن مثل هذا العمل ، وليدعْهُ لغيره ممن هو موسوم بالإشفاق والحذر .

إن التحقيق نتاج خلقى ، لا يقوى عليه إلا امن وهب خلَّتين شديدتين : الأمانة والصبر ، وهما ماهما ؟!

وقد يقال : كيف نترك ذلك الخطأ يشيع ، وكيف نعالجه ؟

فالجواب أن المحقق إن فطن إلى شىء من ذلك الخطأ نبه عليه فى الحاشية أو فى آخر الكتاب وبين وجه الصواب فيه . وبذلك يحقق الأمانة ، ويؤدى واجب العلم .

ومع ذلك قد أجاز بعض المؤلفين أن يتصرف قراؤهم العلماء فى كتبهم بالإصلاح والتصحيح . جاء فى نهاية عيون الأثر لابن سيد الناس مانصه [١] : « قد انتهى بنا الغرض فيما أوردناه إلى ما أردناه ، ولم نسلك بعون الله فيه غير الاقتصاد الذى قصدناه . فمن عثر فيه على وهم أو تحريف أو خطأ أو تصحيف ، فليصلح ما عثر عليه من ذلك ، وليسلك سبيل العلماء فى قَبول العذر هناك . ومن مرَّ بخبر لم أذكره ، أو ذكرت بعضه ، فليضعه بحسب موضعه من التبويب ، أو نسقِهِ فى الترتيب » .

وهذا منهج نادر فى إجازة التصحيح ، ولا أظن أن عالمًا قارئًا لهذا الكتاب قد فعل ما أجازه مؤلفه .

أما الشواهد من القرآن الكريم فلما لها من تقدير دينى ، لابد أن توضع فى نصابها . وقد كشفت فى أثناء تحقيقى لكتاب الحيوان عن تحريفات كثيرة لم أستطع إلَّا أن أردها إلى أصلها . ومن أمثلة ذلك فى الجزء الرابع ص ٧ : « فلما أتوا على وادى » وهى « حتى إذا أتوا » . وفى ص ١٥٩ : « على أن لا أقول

---

(١) عيون الأثر ٢ : ٤٣١ .

على الله إلا الحق فأرسل معى بنى إسرائيل » وهى « إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل » . وفى ص ١٦٠ : « ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » ، وهى « يا موسى لا تخف إنى لا يخاف لدىَّ المرسلون » . وفى الجزء الخامس ص ٣٢ : « إنى مبتليكم بنهر » ، وهى « إن الله مبتليكم بنهر » . وفى ص ٩٣ : « هو الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا » والوجه إسقاط « هو » . وفى ص ١٣٧ : « وأنهار من ماء غير آسن » ، والوجه إسقاط الواو . وفى ص ٥٤٤ : « ثم اسلكى سبل ربك » ، وإنما هى « فاسلكى سبل ربك » . وفى ص ٥٤٧ فى بعض النسخ : « فلما جاء أمرنا وفار التنور » وفى بعضها : « ولما جاء » ، وكلاهما تحريف ، وإنما هى « فإذا جاء أمرنا » . إلى غيرها كثير .

ومن عجب أن يشيع هذا التحريف القرآنى فى كتاب معروف مثل كتاب الحيوان ولا يتصدى له من يصلحه فى خلال هذه القرون المتطاولة . وفى ذلك يصدق المثل القائل : « يؤتى الحذر من مأمنه » .

وجاء فى كتاب الجوارى للجاحظ فى مجموعة داماد : « ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلا » ، وهى « إنه كان فاحشة وساء سبيلا » .

ومما عثرت عليه فى مخطوطات تهذيب اللغة للأزهرى من التصحيف القرآنى ما جاء فى مادة (وقى) : « ما لكم من الله واق » وهى « ما لهم من الله من واق » . وفى مادة (فوق) : « ما ينظرون إلا صيحة ما لها من فواق » وهى « وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق » .

وفى مخطوطات كتاب سيبويه ونسخه المطبوعة فى ثلاث طبعات [1] : « والذاكرين الله كثيرا والذاكرات والحافظين فروجهم والحافظات » ، وصوابها « والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات » .

وفيه أيضاً : « إن المتقين فى جنات وعيون . آخذين . وفى آية أخرى : فاكهين » . ويفهم من صنيعه أن الآية الأولى فى كل من النصين : « إن المتقين فى جنات وعيون » . وليس كذلك فإن الآية السابقة لفاكهين هى : ﴿ إن المتقين فى

---

(١) انظر طبعة بولاق ١ : ٣٧ وكذا طبعة باريس ٣٩ وطبعة الهند .

جنات ونعيم ﴾ في سورة الطور ، والسابقة لآخذين هي الآية ١٥ من سورة الذاريات . وفي اللسان (فرق) : « وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحْر »[1] ، وإنما هي : ﴿ فأوحينا ﴾ .

وفي أصل مقاييس اللغة مادة (نكب) : « وهم على الصراط ناكبون » ، تحريف الآية ٧٤ من المؤمنين : ﴿ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ﴾ .

وفي خزانة الأدب[2] : « وما لهم به من علم إلا اتباع الظن » في نسختيه : المطبوعة والمخطوطة ، وإنما هي : ﴿ مالهم به من علم ﴾ بطرح الواو ، وهي الآية ١٥٧ من سورة النساء . وفي سورة النجم الآية ٢٨ : ﴿ وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن ﴾ . فهذه هي التي الواو في أولها لا تلك .

وفي توضيح ابن هشام[3] في بعض النسخ : « أن اضرب بعصاك الحجر فانفجرت » وإنما هي ﴿ فانبجست ﴾[4] .

وفي شرح الرضي للكافية[5] : « افعلوا الخير لعلكم تُرحَمون » ، أي لترحموا ، وإنما هي ﴿ لعلكم تفلحون ﴾[6] .

وإنما أسهبت في تلك الأمثلة لأنبِّهَ على أمرين :

أما أحدهما فإنه يجب أن يستشعر المحقق الحذر الكامل في تحقيق الآيات القرآنية ، وألا يركن إلى أمانة غيره في ذلك مهما بلغ قدره .

وأما الآخر فإنَّ التزَمُّت في إبقاء النص القرآني المحرف في الصلب كما هو ، فيه مَزلة للأقدام ، فإن خطر القرآن الكريم يجلُّ عن أن نجامل فيه مخطئًا ، أو نحفظ فيه حق مؤلف لم يلتزم الدقة فيما يجب عليه فيه أن يلزم غاية الحذر .

---

(١) الآية ٦٣ من سورة الشعراء .
(٣) خزانة الأدب ٢ : ٢ .
(٣) التوضيح بشرح التصريح للأزهرى ٢ : ١٥٣ .
(٤) الأعراف : ١٦٠ .
(٥) شرح الرضي للكافية ٣ : ٣٢٢ .
(٦) الآية ٧٧ من سورة الحج .

ومع ذلك فإننا نرى بعض المتزمتين الغالين يذهب إلى التزام الأمانة الصارمة فى أداء النص القرآنى الخاطىء يؤديه كما وقع من مؤلفه . والمسألة خلافية قديمة بسطها ابن كثير فى كتابه اختصار علوم الحديث [١] . ونصه ما يلى :

وأما إذا لحن الشيخ فالصواب أن يرويه السامع على الصواب ، وهو محكيٌّ عن الأوزاعى وابن المبارك والجمهور . وحكى عن محمد بن سيرين وأبى مَعمر عبد الله بن سَخبرة أنهما قالا : يرويه كما سمعه من الشيخ ملحونًا . قال ابن الصلاح : وهذا غلوٌّ فى مذهب اتباع اللفظ . وعن القاضى عياض : أن الذى استمر عليه عمل أكثر الأشياخ أن ينقلوا الرواية كما وصلت إليهم ولا يغيروها فى كتبهم ، حتى فى أحرف من القرآن استمرت الرواية فيها على خلاف التلاوة ، ومن غير أن يجىء ذلك فى الشواذ ، كما وقع فى الصحيحين والموطأ ، لكن أهل المعرفة منهم ينبهون على ذلك عند السماع ، وفى الحواشى .

ثم قال : « وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل أن أباه كان يصلح اللحن الفاحش ويسكت عن الخفى السهل » .

فالمسألة قديمة جدًا مردُّها إلى الأمانة ، وهى متحققة فى المذهبين إذا نبه المصحح على ما كان عليه الأصل الذى صحَّحه ، مما هو واضح الخطأ .

واختبار النصوص القرآنية لا يكفى فيه أن نرجع إلى المصحف المتداول ، بل لابد فيه من الرجوع إلى كتب القراءات وكتب التفسير . ففى كتب القراءات يرجع المحقق إلى كتب القراءات السبع ، ثم العشر ثم الأربع عشرة ، ثم كتب القراءات الشاذة . وفى كتب التفسير يلجأ إلى تلك التى تعنى عناية خاصة بالقراءات كتفسير القرطبى وأبى حيان . ولذلك يجدر أن ينسب المحقق كل قراءة تكون مخالفة لقراءة الجمهور .

ومما يجدر ذكره فى نطاق تحقيق النص القرآنى أن بعض المؤلفين قد يستشهد بالنص ، تاركا للواو ، أو الفاء ، أو إنَّ ، أو قل ، أو ما أشبه ذلك من

---

(١) هو الذى طبع مشروحًا باسم الباعث الحثيث . انظر ص ١٦٢ - ١٦٣ .

الحروف والكلم ، نحو : « وقل جاء الحق » فيقتصر على :« قل جاء الحق » أو على : « جاء الحق » ، فليس من منهج التحقيق أن يكمل المحقق الآية بذكر الحرف أو الكلمة التى تركها المؤلف ؛ فقد جرى الشافعى – وهو من هو – فى الرساله [١] على استعمال ذلك الحذف . وكذلك فعل الجاحظ فى الحيوان [٢] ، ومُقاتل فى الأشباه والنظائر [٣] فى أكثر من اثنى عشر موضعًا . بل وقع ذلك أيضًا فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة [٤] : « لا يحسبنَّ الذين يبخلون » ، بترك الواو .

وأما نصوص الحديث فإنها يجب أن تختبر بعرضها على مراجع الحديث ، لقراءة نصها وتخريجها إن أمكن التخريج . وتعدد روايات الحديث يدفعنا إلى أن نحمِّل المؤلف أمانة روايته ، فنبقيها كما كتبها المؤلف إذا وصلنا إلى يقين بأنه كتبها كذلك ، ولندع للتعليق ما يدل على ضعف روايته أو قوتها .

وهذا أيضًا هو واجب المحقق إزاء كل نص من النصوص المضمنة ، من الأمثال والأشعار ونحوها ، يجب أن يتجه إلى مراجعها ليستعين بها فى قراءة النص وتخريجه إن أمكن التخريج . ومع ذلك يجب أن نحترم رواية المؤلف إذا أيقنا أن ما فى النسخه هو ما قصده المؤلف وأراده ، ولاسيما إذا كان يبنى على تلك الرواية حكمًا خاصًا . فهذا قيد شديد يحرِّم على المحقق أن يتناول النص بتغيير أو تبديل .

وهذه الضروب الثلاثة من النصوص هى أخطر ما يجب فيه الدقة والحرص والتريث ، وليس معنى ذلك أن نستهين بغيرها ، ولكن معناه أن نبذل لها من اليقظة ، ونستشعر لها من الحرص ، ما يعادل خطرها البالغ .

خطر تحقيق المتن :

عرفت إذن أن التحقيق أمر جليل ، وأنه يحتاج من الجهد والعناية إلى

---

(١) رسالة الشافعى فقرة ٦٤٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ .
(٢) الحيوان ٤ : ٥٧ .
(٣) تفسير مقاتل مخطوطة أحمد الثالث .
(٤) فتح البارى ٣ : ٢١٤ ، وهو الحديث ٩٩ من الألف المختارة .

أكثر مما يحتاج إليه التأليف . وقديمًا قال الجاحظ [١] : « ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفًا أو كلمة ساقطة ، فيكون إنشاء عشر ورقات من حُرِّ اللفظ وشريف المعانى ، أيسرَ عليه من إتمام ذلك النقص حتى يردَّه إلى موضعه من اتصال الكلام » .

مقدمات تحقيق المتن :

هنال مقدمات رئيسية لإقامة النص ، فمنها :

١ - التمرس بقراءة النسخة ، فإن القراءة الخاطئة لا تنتج إلا خطأ . وبعض الكتابات يحتاج إلى مراس طويل وخبرة خاصة ، ولا سيما تلك المخطوطات التى لا يطرد فيها النقط والإعجام ، وكذلك تلك المخطوطات التى كتبت بقلم أندلسى أو مغربى ، ولهذا الخط صوره الخاصة ونقطه الخاص ، بل رسمه الخاص . قال الشيخ نصر الهورينى [٢] : « وكذلك أهل الأندلس يكتبون فى غير المصحف الألف الحشوية الممالة بالياء ، كما يدل له قول القاموس : بُنِيل - بضم الباء وكسر النون - جد مسلم بن محمد الشاعر الأندلسى ، والأصح أنه ممال ، ولكنهم يكتبونه بالياء اصطلاحًا » .

ولكلِّ كاتبٍ من الكتَّاب طريقةٌ خاصة تستدعى خِبرة خاصة كذلك . فبعضهم يقارب بين رسمى الدال واللام ، أو بين رسمى الغين والفاء ، فلا يفطن للفصل بينهما إلا الخبير . كما أن كثيرًا من الكتاب الأقدمين يكتبون على طريقة خاصة بهم فى الرسم الإملائى ، وهذا يحتاج إلى خبرة خاصة تكتسب بالمرانة وبالرجوع إلى كتب الرسم . ومن أجمع الكتبِ فى ذلك « المطالع النصرية » للشيخ نصر الهورينى .

والنَّقط تختلف طرائقه فى الكتابة المشرقية والكتابة المغربية ، ففى

---

(١) الحيوان ١ : ٧٩ .

(٢) المطالع النصرية ١١٠ .

الأخيرة تنقط الفاء بنقطة من أسفلها ، والقاف بنقطة واحدة من أعلاها .

وفى الكتابات القديمة توضع بعض العلامات لإهمال الحروف ، فبعضهم يدلى على السين المهملة بنقط ثلاث من أسفلها ، إما صفًّا واحدا وإما صفَّين . وبعضهم يهمل نقط السين ويعجم الشين بنقطة واحدة فوقها كما فى همع الهوامع . وبعضهم يكتب سينا صغيرة (س) تحت السين ، ويكتبون حاء (حـ) تحت الحاء المهملة . ومن الكتاب من يضع فوق المهمل أو تحته همزة صغيرة (ء) ، ومنهم من يضع خطًّا أفقيًا فوقه (–) ، ومنهم من يضع رسمًا أفقيًا كالهلال (‿) ، ومنهم من يضع علامة شبيهة بالرقم (٧) . وفى بعض الكلمات التى تقرأ بالإهمال والإعجام معًا قد ينقط الحرف من أعلى ومن أسفل معًا ، وذلك مثل « التسميت » و « التشميت » أى تشميت العاطس ، يضعون أحيانا فوق السين نقطًا ثلاثًا وتحتها كذلك ، إشارة إلى جواز القراءتين . و « المضمضة » و « المصمصة » تكتب بنقطة فوق الضاد وأخرى تحتها ، تجويزًا لوجهى القراءة .

وفى الإعجام – أى الشكل والضبط – يحتاج المحقق كذلك إلى خبرة خاصة ، وهذا هو الذى كان يسميه أبو الأسود : « النقط » . قال أبو الأسود لكاتبه القيسى : « إذا رأيتنى قد فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة على أعلاه ، وإن ضممت فمى فانقط نقطة بين يدَيِ الحرف ، وإن كسرت فمى فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن أتبعت ذلك شيئًا من غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين » .

فهذه طريقة أبى الأسود يراها القارئ فى المصاحف العتيقة .

ومما يلحق بالضبط القَطْعة ، أى الهمزة ، وهى صورة رأس عين توضع فوق ألف القطع ، أو على الواو والياء المصورتين بدلا من الألف ، أو فى موضع ألف قد حذفت صورتها مثل ماء وسماء . وفى الكتابة القديمة كثيرًا ما تهمل

كتابتها فتلتبس ماء بكلمة « ما » ، وسماء بالفعل « سما » . والهمزة المكسورة تكتب أحيانًا تحت الحرف وتكتب أحيانًا فوقه .

والمدّة ، وهى السحبة التى فى آخرها ارتفاع ، قد ترد فى الكتابة القديمة فيما لم نألفه ، نحو « مآ » التى نكتبها الآن « ماء » بدون مدة .

والشدة ، وهى رأس الشين ، نجدها فى الكتابة القديمة حينًا فوق الحرف ، وآنًا تحته إذا كانت مقرونة بالكسرة . ونجد خلافًا فى كتابتها مع الفتحة فأحيانًا توضع الفتحة فوق الشدة ، وأحيانًا تكتب الفتحة تحت الشدة هكذا (ـَّ) فيتوهم القارئ أنها كسرة مع الشدة ، مع أن وضع الكسرة تحت الشدة وفوق الحرف أمر لا يكاد يوجد فى المخطوطات العتيقة . والضمة يضعها المغاربة تحت الشدة ، وفى كثير من الكتابات القديمة توضع الشدة على الحرف الأول من الكلمة اللاحقة إذا كان مدغمًا فى آخر من نهاية الكلمة السابقة مثل « بل رّان » ، « يقول أهلكت مالا لّو قنعت به » .

والشدة فى الكتابة المغربية تكتب كالعدد (٧) شديدة التقويس . وقد عثرت على مخطوط أندلسى عتيق هو كتاب العَقَقَة والبَرَرَة لأبى عبيدة ، وقد التزم فيه كاتبه وضع الحركات تحت النقط هكذا (مُضْعَة) ، أى مُضْغَة .

وفى النسخة المغربية من كتاب المحتسب لابن جنى (٧٨ قراءات دار الكتب) وجدت الشدة توضع مشابهة للعدد (٧) فوق الحرف للدلالة على الشدة والفتحة ، ومشابهة للعدد (٨) فوقه للدلالة على الشدة والضمة . أما الشدة والكسرة فيعبر عنهما يالرسم (٨) لكن تحت الحرف .

وتخفيف الحرف ، أى مقابل تشديده ، يرمز إليه أحيانًا بالحرف (خ) أو بإشارة (خف) إشارة إلى الخفة .

وهناك بعض الإشارات الكتابية ، ومنها علامة الإلحاق التى توضع لإثبات

بعض الأسقاط خارج سطور الكتاب . وهى فى غالب الأمر خـــط رأسى يرسم بين الكلمتين يعطف بخط أفقى يتجه يمينا أو يسارا إلى الجهة التى دوِّن فيها السقط هكذا (┌──) أو (──┐) وبعضهم يمد هذه العلامة حتى تصل إلى الكتابة الملحقة التى يكتب إلى جوارها كلمة « صـــح » أو « رجع » أو « أصل » . وبعض النساخ يكتب ما يريد إلحـــاقه بين الأسطر فى صلب الكتاب .

وهناك علامة التمريض ، وهى صاد ممدودة « صـ » توضع فوق العبارة التى هى صحيحة فى نقلها ولكنها خطأ فى ذاتها ، وتسمى هذه العلامة أيضًا علامة التضبيب .

قال السيوطى فى تدريب الراوى [1] : « ويسمى ذلك ضبة لكون الحرف مقفلاً بها لايتجه لقراءة ، كضبة الباب يقفل بها » .

وعلامة التثليث اللغوى ، وهى (ث) توضع فوق الكلمة . اقتباسًا من كلمة التثليث ، وجدتها فى مخطوطة الاشتقاق لابن دريد .

وأحيانًا يوضع الحرف (ض) فى وسط الكلام ، إشارة إلى وجود بياض فى الأصل المنقول عنه ، وجدته فى نسخة من جمهرة ابن حزم .

وكذلك الحرف (عـ) رأس العين ، إشارة إلى « لعله كذا » : وجدته فى هامش بعض مخطوطات الجمهرة . وقد يكتب الحرف (ظ) فى الهامش أيضًا إشارة إلى كلمة « الظاهر ». وتوضع (ك) فى بعض الهوامش إشارة إلى أنه « كذا فى الأصل » .

وإذا كان هناك خطأ ناشىء من زيادة بعض الكلمات ، فإنهم يشيرون إلى الزيادة بخط يوضع فوق الكلام منعطفا عليه من جانبيه وبهذا الوضع (┌──┐) وأحيانًا توضع الزيادة بين دائرتين صغيرتين (٥ ٥) أو بين نصفى دائرة (( ))

---

(١) تدريب الراوى ، شرح تقريب النواوى ص ١٥٦ .

وأحيانًا توضع كلمة « لا » ، أو « من » ، أو« زائدة » فوق أول كلمة من الزيادة ثم كلمة « إلى » فوق آخر كلمة منها .

وفى التقديم والتأخير توضع فوق الكلمتين أو العبارتين (ا) و (ا) . وجدت بخط مُغُلطاى على هامش الاشتقاق (سنةٰ ومائة إحدىٰ) أى سنة إحدى ومائة . أو يوضع الحرفان (خ) و (ق) أو (خ) و (م) ، أى تأخير وتقديم . أو (م) (م) أى مقدم ومؤخر .

وكذلك الأرقام تحتاج إلى خبرة خاصة ، وهذه صورة الأرقام التى ترد فى بعض المخطوطات القديمة (٦٥٤٣٢١ وهى (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) .

وأحيانا تكتب الاثنان والأربعة والخمسة هكذا : (٥ ٤ ٢) .

وهناك رموز واختصارات لبعض الكلمات أو العبارات نجدها فى المخطوطات القديمة ولاسيما فى كتب الحديث .

وهذا مما سبق به أسلافنا العرب ، أو علماء العجم المتأخرون ، وقلدهم فى ذلك الفرنجة [1] :

ثنا = حدثنا .

ثنى = حدثنى .

نا = حدثنا ، أو أخبرنا .

دثنا = حدثنا .

أنا = أنبأنا ، أو أخبرنا .

أرنا = أخبرنا ، فى خط بعض المغاربة .

أ خ نا = أخبرنا ، فى خط بعض المغاربة .

أبنا = أخبرنا .

(١) انظر المطالع النصرية ٢٠٠ - ٢٠٢ ، وتدريب الراوى ١٥٧ - ٢٠٧ ، وقواعد التحديث للقاسمى .

قثنا = قال حدثنا .

ح = تحويل السند فى الحديث .

صلعم = ﷺ

ص م = ﷺ

ع م = عليه السلام

} وكتابة هذه الثلاثة مكروهة عند الفقهاء . وقد استعملها العجم .

رضى = رضى الله عنه .

المصن = المصنِّف بكسر النون .

ص = المصنَّف بفتح النون ، أى المتن .

ش = الشرح .

الشـ = الشارح .

س = سيبويه .

أيضـ = أيضًا .

لا يخـ = لا يخفى . للعجم فى الكتب العربية .

الظ = الظاهر .

مم = ممنوع . للعجم فى الكتب العربية .

م = معتمد ، أو معروف ، استعمل الأخيرة صاحب القاموس ومن بعده .

إلخ = إلى آخره .

ا هـ = انتهى ، أو إلى نهايته .

ع = موضع ، استعمله صاحب القاموس ومن بعده .

ج = جمع ، » » » .

جج = جمع الجمع » » » .

ججج = جمع جمع الجمع ، استعمله صاحب القاموس ومن بعده .

ة = قرية .

ق = قرآن استعمله صاحب الراموز محمد بن حسن بن حسن المتوفى ٨٦٦

ح = حديث .

ر = أثر .
ل = جبل .
ثه = الأنثى بهاء .
سم = اسم .
عز = يتعدى ويلزم .
ح = أبو حنيفة ، أو الحلبى .
حج = ابن حجر الهيثمى فى كتب الشافعية .
م ر = محمد الرملى .
ع ش = على الشبراملسى .
ز ى = الزيادى .
ق ل = القليوبى .
شو = خضر الشوبرى .
س ل = سلطان المزاحى .
ح ل = الحلبى .
ع ن = العنانى .
ح ف = الحفنى.
ا ط = الإطفيحى .
م د = المدابغى .
ع ب = العباب .
سم = ابن أم قاسم العبادى .
ح = حينئذ ، فى غير كتب الحديث غير الحنفية .
ح = الحلبى عند الحنفية .

٢ - والثانى من مقدمات التحقيق هو التمرس بأسلوب المؤلف ، وأدنى صوره أن يقرأ المحقق المخطوطة المرة تلو المرة ، حتى يَخْبُرَ الاتجاه الأسلوبى للمؤلف ، ويتعرف خصائصه ولوازمه ، فإن لكل مؤلف خصيصة فى أسلوبه ، ولازمة من اللوازم اللفظية أو العبارية ، كما أن لكل مؤلف أعلامًا خاصة تدور فى كتاباته ، وحوادث يديرها فى أثنائها .

وأعلى صور التمرس بأسلوب المؤلف أن يرجع المحقق إلى أكبر قدر مستطاع من كتب المؤلف ، ليزداد خبرة بأسلوبه ويستطيع أن يوجد ترابطاً بين عباراته فى هذا الكتاب وذاك . ومعرفة ذلك ما يعين فى تحقيق المتن ، والتهدى إلى الصواب فيه .

٣ - وأمر ثالث ، وهو الإلمام بالموضوع الذى يعالجه الكتاب حتى يمكن المحقق أن يفهم النص فهمًا سليمًا يجنّبه الوقوع فى الخطأ حين يظن الصواب خطأ فيحاول إصلاحه ، أى يحاول إفساد الصواب .

وهذا إنما يتحقق بدراسة بعض الكتب التى تعالج الموضوع نفسه أو موضوعًا قريبًا منه ، ليستطيع المحقق أن يعيش فى الأجواء المطابقة أو المقاربة ، حتى يكون على بصيرة نافذة .

٤ - فإذا اجتمع لدى المحقق أقصى ما يمكن جمعه من المخطوطات ، واستطاع قراءتها قراءة سليمة ، وعرف أسلوب المؤلف ، وألَمَّ إلمامًا كافيًا بموضوع الكتاب ، استطاع أن يمضى فى التحقيق مستعينًا بالمراجع العلمية التى يمكن تصنيفها على الوجه التالى :

(أ) كتب المؤلف نفسه مخطوطها ومطبوعها .

(ب) الكتب التى لها علاقة مباشرة بالكتاب ، كالشروح والمختصرات والتهذيبات . فنسخة الشرح هي من جهة نسخة أخرى من الكتاب . كما أن الشروح تقيّد النصوص بضبطها أحيانًا ، وتتكفل ببيان غامضها ، وهو أمر له قيمته فى مكملات التحقيق .

ويليها فى ذلك نسخة المختصر أو التهذيب ، فإن كلًّا منهما تلقى ضوءًا لا يستهان به فى تحقيق النص . ومن البديهى أن يرجع المحقق إلى الأصول المخطوطة لتلك المراجع ما أمكنه ذلك ، وألا يعتمد على المطبوعات الخالية من الروح العلمية المحققة .

(جـ) وهناك ضرب آخر من الكتب التى لها علاقة مباشرة بالكتاب ، وهى الكتب التى اعتمدتْ فى تأليفها اعتمادًا كبيرًا على الكتاب ، وهذه كثيرا ما تحتفظ بالنص الأصلى للكتاب الأول . فكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة من الكتب التى اعتمدت على كتاب الحيوان للجاحظ ، ولاسيما فى كلام ابن قتيبة

على الحيوان . والكتاب نفسه من الكتب التى اعتمدت على كتاب « البيان والتبيين » ، ولاسيما فى كتاب الزهد ، ونصوص الخطب والوصايا . ولعل السر فى ذلك أن الجاحظ كان قد أجاز ابن قتيبة برواية بعض كتبه [١] . وكانت حياة ابن قتيبة بين سنتى ٢١٣ ، ٢٧٦ .

(د) ويليها الكتب التى استقى منها المؤلف . فإذا تهدى المحقق إلى المنابع التى يستمد منها المؤلف تأليفه كان ذلك معوانًا له على إقامة النص . وبعض المؤلفين القدماء ينصون فى كتبهم على المصادر التى استقوْا منها ، كما فعل ابن فارس فى مقدمه « مقاييس اللغة » ، وابن منظور فى مقدمة « لسان العرب » ، والسيوطى فى مقدمة « بغية الوعاة » ، وابن حجر فى مقدمة « تهذيب التهذيب » ، والبغدادى فى مقدمة « خزانة الأدب » .

وبعضهم يعتمد اعتمادًا كليًا على مؤلف آخر ، ولكنه لا ينص على الأخذ إلا أحيانًا قليلة ، كما فعل التبريزى فى نقله معظم شرحه للحماسة عن شرح المرزوقى . والذى يوازن بين الشرحيْن يسترعى نظره التقارب الشديد بين عبارات التفسير واتجاهاته ، ثم لا يرتاب أن التبريزى كان فى جمهور شرحه كَلًّا على المرزوقى .

ومن عجب أن التبريزى مع ذلك ينعَى على هؤلاء الذين يهملون نسبة أقوال العلم إلى أصحابها ، فيقول فى تفسير الشطر الثالث من الحماسية ٧٩ : « قال المرزوقى : وذكر بعض المتأخرين – يعنى ابن جنى – ولم ينصفه حيث لم يسمِّه فى كتابه ... » .

وكما صنع التبريزى مع ذلك فى شرحه للحماسة صنع فى شرحه للقصائد العشر ، إذ اعتمد اعتمادًا كبيرًا على ابن الأنبارى فى شرحه للمعلقات .

---

(١) انظر عيون الأخبار ٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ .

وممن اتَّهمهم التاريخ بالإغارة على كتب غيرهم ، وإنْ كنتُ أُجِلُّ قَدْره عن ذلك : عبد الله بن محمد بن السِّيد البطليوسى المتوفى سنة ٥٢١ . جاء فى البغية [١] فى ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد المرسى المتوفى قريبًا من سنة ٤٦٠ : « ونسب إليه ابن خلصة شرح أدب الكاتب المسمى بالاقتضاب . وذكر أن ابن السِّيد البطليوسى أغار عليه وانتحله » .

(هـ) الكتب المعاصرة للمؤلف ، التى تعالج نفس الموضوع ، أو موضوعًا قريبًا منه .

(و) المراجع اللغوية ، وهى المقياس الأول الذى تُسبَر به صحة النص ، فأحيانًا يحكم المحقق العجلان أن فى النص تحريفًا وما به من بأس ، وهو حين يرجع إلى كتب اللغة تفتيه بصواب ما خاله غير الصواب . ولا يكفى لذلك ضرب واحد من المراجع اللغوية .

ويمكننا أن نقسم المراجع اللغوية إلى الضروب التالية :

١ – معاجم الألفاظ ، وأعلاها لسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدى . ومنها معاجم المفردات الطبية ، كالمفردات لابن البيطار ، وتذكرة داود الأنطاكى ، ومن المعاجم الحديثة فى ذلك معجم الحيوان للمعلوف ، والنبات لأحمد عيسى . ومنها معاجم المصطلحات العلمية كمفاتيح العلوم للخوارزمى ، وكليات أبى البقاء ، وأوسعها جميعًا كتاب « كشاف اصطلاحات الفنون » .

وقد وضع بعض فضلاء المستشرقين معاجم استدركوا بها على المعاجم القديمة ، ومنها معجم دوزى المسمى :

Supplement aux Dictionnaires Arabes

ومنها معجمه الخاص بأسماء الملابس :

Dcitionnaire Detaille noms des Vetements chex les Arabes .

---

(١) بغية الوعاة ١٥٧ .

وهذه المعاجم تفيد فى تحقيق النصوص الواردة فى الكتب المتأخرة .

٢ - معاجم المعانى ، وأعلاها المخصص لابن سيده ، وفقه اللغة للثعالبى .

٣ - معاجم الأسلوب ، وأعلاها جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر ، والألفاظ الكتابية للهمذانى .

٤ - كتب المعربات ، ومن أعلاها فى القديم المعرّب للجواليقى ، وشفاء الغليل للخفاجى ، وفى الحديث كتاب الألفاظ الفارسية المعرَّبة لأدِّى شير .

٥ - معاجم اللغات التى تمت بصلة وثيقة إلى العربية كالفارسية والعبرية والسريانية .

(ز) المراجع النحوية ، وهى كثيرة ، وأعلى المتداول منها وأجمعها همع الهوامع للسيوطى ، وحاشية الصبان على الأشمونى .

(ح) المراجع العلمية الخاصة ، وهذه لا يمكن حصرها ، ولكل كتاب يكون موضع التحقيق مراجع شتى يتطلبها . فكتاب الأدب يحتاج إلى مراجع الأدب والتاريخ على اختلاف ضروبها والعلوم الدينية ، وكذلك إلى مراجع الشعر من الدواوين وكتب النقد القديم والبلاغة ومراجع البلدان وغيرها . وكتاب التاريخ يفتقر إلى كتب الأدب والعلوم الدينية ومراجع البلدان . وهكذا .

فنحن نجد أن نتاج الثقافة الإسلامية العربية متواشج الأنساب ، متداخل الأسباب . وحذق المحقق وسعة اطلاعه يهديانه إلى اختيار المراجع التى يتطلبها الكتاب .

وأذكر أننى قبل تحقيقى لكتاب الحيوان هالنى تنوع المعارف التى يشملها هذا الكتاب ، ووجدت أني لو خبطت على غير هدى لم أتمكن من إقامة نصه على الوجه الذى أبتغى ، فوضعت لنفسى منهجًا بعد قراءتى للكتاب سبع مرات، منها ست مرات اقتضاها معارضتى لكل مخطوط على حدة ، وفى المرة السابعة

كتت أقرؤه لتنسيق فقاره وتبويب فصوله ، فكنت بذلك واعيًا لكثير مما ورد فيه ، فلجأت إلى مكتبتى أتصفح ما أحسب أن له علاقة بالكتاب وأقيّد فى أوراق ما أجده معينًا للتصحيح ، حتى استوى لى من ذلك قدْر صالح من مادة التحقيق والتعليق . ولكن ذلك لم يغننى عن الرجوع إلى مصادر أخرى غير التى حسبت ، فكانت عدة المراجع التى اقتبست منها نصوصًا للتحقيق والتعليق نحو ٢٩٠ كتابًا عدا المراجع التى لم أقتبس منها نصوصًا ، وهى لا تقل عن هذه فى عدتها .

والذى أريد أن أقوله ، أن تحقيق النصوص محتاج إلى مصابرة وإلى يقظة علمية ، وسخاء فى الجهد الذى لا يضن على الكلمة الواحدة بيوم واحد أو أيام معدودات .

* * *

التَّصْحِيف وَالتَّحْرِيف

وهما أكبر آفة منيت بها الآثار العلمية ، فلا يكاد كتاب منها يسلم من ذلك . وبعض العلماء الأقدمين يفرقون بين مدلولى الكلمتين . فالعسكرى ، وهو الحسن ابن عبد الله بن سعيد (٢٩٣ -٣٨٢) - وهو من أقدم من ألف فى هذا الفن يضع حدًّا فاصلاً بينهما . ويقول فى صدر كتابه [١] : « شرحت فى كتابى هذا الألفاظ والأسماء المشكلة التى تتشابه فى صورة الخط فيقع فيها التصحيف ، ويدخلها التحريف » .

ويقول أيضا [٢] : « فأما معنى قولهم الصحفى والتصحيف فقد قال الخليل : إن الصحفى الذى يروى الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف . وقال غيره : أصل هذا أن قومًا كانوا قد أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يَلْقَوْا فيه العلماء ، فكان يقع فيما يروونه التغيير ، فيقال عنده : قد صحَّفوا ، أى ردَّدوه عن الصحف ، وهم مصحِّفون ، والمصدر التصحيف » .

وجاء فى جمهرة ابن دريد [٣] :« أنَّ الماء يَؤُنُّه أنا : صبه . وفى كلام للقمان ابن عاد : أنَّ ماء وأغله [٤] . أى صبَّ ماء وأغله . وكان ابن الكلبى يقول : أزَّماء ، ويزعم أن أ نَّ تصحيف » .

فهذه النصوص تجعل كل تغير فى الكلام ينشأ من تشابه صور الخط تصحيفًا .

ويقول العسكرى [٥] فى قول ابن أحمر الذى روى على هذا الوجه :

---

(١) التصحيف والتحريف ص ١ .

(٢) التصحيف والتحريف ص ١٣ .

(٣) الجمهرة ١ : ٢٢ .

(٤) ويروى : « وغلة » بالتضعيف ، يقال أغلى الماء وغلاه بالتضعيف أيضًا .

(٥) ص ٧٧ .

فلا تصلى بمطروق إذا ما سرى بالقوم أصبح مستكينا

إنما هو « إذا ما سرى فى الحى » . ثم يقول : « وهذا من التحريف لا من التصحيف » . وفى كتابه أيضًا [١] : « سأل أبو زيد الأخفش فقال : كيف تقول يوم التروية [٢] أتهمز ؟ قال : نعم . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنى أقول : روأت فى الأمر . قال : أخطأت ، إنما هو ترويت من الماء غير مهموز . قال الشيخ – أى العسكرى – : وهذا من التبديل لا من التصحيف » . يريد أنه من التحريف ، لأنه ليس ناشئًا من تشابه الحروف فى النقطه بل هو من تغيير الياء بالهمز .

ومن نماذج التحريف بمعنى الخطأ ما جاء فى اللسان (ضيف ١١٣) فى إنشاد قول البعيث :

لقًى حملته أمه وهى ضيفة فجاءت بيَتْنٍ للضيافة أرشما

قال : « وحرّفه أبو عبيد [٣] فعزاه إلى جرير » .

ثم إننا نجد السيوطى (٨٤٩ – ٩١١) فى المزهر [٤] يعقد فصلًا فى التصحيف والتحريف ، لم يفصل بينهما فصلا دقيقًا ، فلم يكن ضابط دقيق عنده لما يسمى تحريفًا وما يسمى تصحيفًا . وكذلك نجد بعض المؤلفين الأقدمين لا يفرقون بين التحريف والتصحيف ، يجعلونهما مترادفين .

أما ابن حجر فى شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر [٥] فيفرق بين النوعين فرقًا واضحًا . قال : « إن كانت المخالفة بتغيير حرف أو حروف مع بقاء

---

(١) ص ٨٨ .

(٢) يوم التروية هو ثامن ذى الحجة ، لأن الحجاج كانوا يتروون فيه من الماء وينهضون إلى منى ولا ماء بها .

(٣) انظر تهذيب اللغة ١٢ : ٧٥ . وفى اللسان : « أبو عبيدة » : تحريف . وصوابه مافى التهذيب : « قول جرير يهجو البعيث » .

(٤) ج ٢ ص ٣٥٣ – ٣٩٤ .

(٥) شرح نخبة الفكر ٣٢ .

صورة الخط فى السياق . فإن كان ذلك بالنسبة إلى النقط فالمصحَّف ، وإن كان بالنسبة إلى الشكل فالمحرَّف » .

فهو يجعل التصحيف خاصًا بالالتباس فى نقط الحروف المتشابهة فى الشكل كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والخاء ، والدال والذال ، والراء والزاى ، والسين والشين ، والصاد والضاد ، والطاء والظاء . فإن صور تلك الحروف واحدة ، ولا يفرق بعضها عن بعض فى الكتابة الحديثة إلا النقط أو مقدارها .

وأما التحريف فهو خاص بتغيير شكل الحروف ورسمها كالدال والراء ، والدال واللام ، والنون والزاى فى الحروف المتقاربة الصورة ، والميم والقاف ، واللام والعين فى الحروف المتباعدة الصورة .

ومن التصحيف الناجم عن سوء القراءة ما جاء فى سير النبلاء للذهبى فى ترجمة عبد الرزاق بن همام ، فى حديث روى عنه مصحَّفًا : « النار جبار » . قال الذهبى : أظنها تصحفت عليهم ، فإن النار تكتب « النير » على الإمالة بياء ، على هيئة « البئر » ، فوقع التصحيف [١] .

وصواب نص هذا الحديث : « البئر جُبَار » ، أى هدر ، إذا سقط إنسان فيها فهلك فدمه هدر . وتمام الحديث : « المعدِن جُبار ، والبئر جُبار ، والعجماء جُبار » [٢] .

ومن التصحيف والتحريف ما يكون نتاجًا لخطأ السمع لا لخطأ القراءة ، كأن يملى المملى كلمة « ثابت » فيسمعها الكاتب ويكتبها « نابت » ، أو « احتجم » فيسمعها الكاتب ويكتبها « احتجب » . ومن هذا ماجاء فى قول الراجز :

كأن فى ريِّقه لما ابتسم　　　بلقاءةً فى الخيل عن طفل مُتِمْ

« إنما هى « **بلقاءَ تنفى الخيل** »

---

(١) التصحيف ص ١٧٦ .

(٢) انظر اللسان (جبر ١٨٦) والألف المختارة ٨٦٢ .

ومنه ما ورد فى الطبعة الأولى من الصحاح فى مادة (سلت) قال : « وسلتُّه مائة سوط ، أى جلدته ، مثل حلدته » . وصوابها « حلته » كما فى مخطوطات الصحاح واللسان . ومادة (حلت) من الصحاح نفسه وفيه : « قال الأصمعى : حلته مائة سوط : جلدته » .

ومما اجتمع فيه تصحيف الخط وتصحيف السمع ما جاء فى الإصابة لابن حجر ، فى ترجمة « فرات بن ثعلبة البهرانى » ، إذ وقع فى بعض نسخ كتاب ابن منده « النحرانى » . قال ابن حجر : « النجرانى وقع فى النسخ المعتمدة من كتاب ابن مندة بنون وجيم ، والصواب بموحدة ثم مهـــملة – يعنى البحرانى – فوقع فيه تصحيفان : خطى وسمعى . أما الخطى فهذا . وأما السمعى فإنه بالهاء لا بالحاء » .

وفى ذلك يروون هذه الطريقة عن كيسان مُستملى أبى عبيدة [1] : أنه كان يكتب غير ما يسمع ، ثم ينقل عن ذلك غير ما كتبه فى أول الأمر ، ثم يحفظ غير ما كتب ، ثم يحدِّث غير ما حفظ .

ومنه ما يكون من خطأ فى الفهم كقول السيوطى [2] : « كحديث الزهرى عن سفيان الثورى » . وهو خطأ غريب ، فإن الزهرى أقـدم كثيرًا من الثورى ، ولم يذكر أحد أنه روى عنه . والصواب : « كحديث أبى شهاب عن سفيان الثورى » ، فالتبس على السيوطى أبو شهاب الحـنَّاط بابن شهاب الزهرى . والذى يروى عن سفيان إنما هو أبو شهاب الحناط ، واسمه عبد ربه بن نافع الكنانى . وأما ابن شهاب الزهرى فهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب .

ومن ذلك ما ذكره الجاحظ فى البيان [3] :« قال يونس بن حبيب :

---

(١) بغية الوعاة ص ٢٨٢ .

(٢) الباعث الحثيث ٧٥ .

(٣) البيان ٢ : ١٨ .

ما جاءنا من أحد من روائع الكلم ما جاءنا عن رسول الله ﷺ » ، جاء فى حاشية قديمة من إحدى نسخه تعليقًا على ذلك :

هذا مما صحَّفه الجاحظ وأخطأ فيه ، لأن يونس إنما قال : « عن البتى ، وهو عثمان البتى ، فلما لم يذكر عثمان التبس البتى فصحَّفه الجاحظ بالنبى ، ثم جعل مكان النبى الرسول . وكان البتى من الفصحاء » .

والبتى هذا هو عثمان بن مسلم البصرى البتى .

ومن طريف التصحيف ما ورد فى إحدى مخطوطات الحيوان [(١)] فى خطبة من خطب الحجاج بن يوسف : « يا أهل الشام ، أنتم الجبة والرداء » ، وإنما هى « الجُنّة » بالجيم المضمومة والنون المشددة ، وهى ما واراك من السلاح واستترت به .

ومن طريفه أيضًا ما ورد فى مخطوطة مقاييس اللغة (مادة عبد) : « يقال هذا ثوبٌ له عَبَدةٌ ، إذا كان ضعيفًا قويًّا » ، والصواب « صفيقًا قويًا » .

كتب التَّصْحِيف والتَّحْرِيف :

ومن أقدم كتب التصحيف والتحريف ما صنعه أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى ٢٩٣ - ٣٨٢ وقد طبع نحو نصفه بمصر سنة ١٣٢٦ ثم طبع كاملاً بتحقيق الأستاذ عبد العزيز أحمد سنة ١٣٨٣ . وما صنعه الحافظ على بن عمر الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ . ذكره ابن الصلاح والنووى وابن حجر والسيوطى .

ومما يصح أن يجعل بين كتب التصحيف والتحريف كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة [(٢)] ، لعلى بن حمزة البصرى المتوفى سنة ٣٧٥ وإن كان لم يسم كتابه بما يدل على ذلك . وكذا كتاب التنبيه على حدوث التصحيف [(٣)] لحمزة ابن حسن الأصفهانى .

---

(١) الحيوان ٦ : ٣٥٤ .

(٢) نشر فى دار المعارف سنة ١٣٨٧ بتحقيق الميمنى مع كتاب المنقوص والممدود للفراء .

(٣) نشر فى بغداد ١٣٨٧ بتحقيق محمد حسن آل ياسين .

تاريـــــخه

وتاريخ التصحيف والتحريف قديم جدًا ، وقد وقع فيه جماعة من الفضلاء من أئمة اللغة وأئمة الحديث حتى قال الإمام أحمد بن حنبل : « ومن يعرى من الخطأ والتصحيف ؟! » [١] .

ففى كتاب الله قرأ عثمان بن أبى شيبة : « جعل السفينة فى رجل أخيه » [٢].

وقرأ أيضًا : « ألم . تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » [٣] ، وكان حمزة الزيَّات يتلو القرآن من المصحف ، فقرأ يومًا وأبوه يسمع : « ألم . ذلك الكتاب لازيت فيه » ، فقال أبوه : دع المصحف وتلقَّنْ من أفواه الرجال [٤] !

وقرأ بعضهم : « قال الله عن رجل » .

وفى الحديث صحَّف بعضهم : « صلاة فى إثر صلاة كتاب فى علِّيِّين » فقال : « كناز فى غلس » . وصحَّف آخر : « يا أبا عمير ، ما فعل النُّغَير » ، فقال : « ما فعل البعير » [٥] .

وقد ورد كثير من ذلك فى اللغة والشعر والأعلام مما يطول الحديث فيه .

وقد عمَّت هذه البلوى حتى قالوا : لا تأخذوا القرآن من مصحفى، ولا العلم من صَحفىّ [٦] . وكما كانوا يهجون الصحفيين كانوا يمدحون من لا يعتمد على الصحف فى علمه . وفى ذلك يقول أبو نواس فى رثاء خلفٍ الأحمر :

---

(١) المزهر ٢ : ٣٥٣.

(٢) العسكرى ص ١٢ .

(٣) المزهر ٢ : ٣٦٩ .

(٤) العسكرى ١٢ - ١٣ .

(٥) الباعث الحثيث ١٩٣ . والنغير : مصغر نغر ، كصرد . وهو طائر صغير أحمر المنقار يشبه العصفور .

(٦) العسكرى ١٣ .

لا يَهِم الحاءَ فى القراءة بالـ ـخاء ولا يأخذ إسنادَه عن الصحف[١]

ولخشية التصحيف نجد بعض المؤلفين يلجئون إلى مخالفة المعروف فى اللغة ليتوقَّوْا وقوع غيرهم فى الخطأ . جاء فى صحاح الجوهرى ص ٦٨٥ فى مادة (سعتر) « السعتر : نبت ، وبعضهم يكتبه بالصاد فى كتب الطب لئلا يلتبس بالشَّعير » .

كتب المؤْتَلِف والمخْتَلِف :

وكان من الطبيعى أن تقاوَم هذه الآفة العلمية بما يقضى عليها أو يخفف من حدَّتها ، فلجأ العلماء إلى تأليف الكتب التى تبحث فى المؤتلف والمختلف ، فمنها ما هو فى أسماء الرجال ، وقد ألف فى ذلك الدارَقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ ، وأحمد بن على الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ ، وابن ماكولا المتوفى سنة ٤٨٧ ، وابن نقطة الحنبلى المتوفى سنة ٦٢٩ ، والذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ فى كتابه المشتبه .

ومنها ما هو فى أسماء الشعراء ، وقد ألف فيه الحسن بن بشر الآمدى المتوفى سنة ٣٧٠ .

ومنها ما هو فى أسماء القبائل ، وقد ألف فيه محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢١٥ .

وغير ذاك كثير .

* * *

---

(١) العسكرى ١٨ . وفى الحيوان ٣ : ٤٩٤ :

لأَيَهِمُ الحاء فى القراءة بالخا ء ولا لامَهَا مع الألفِ
ولا مضلًّا سُبْلَ الكلامِ ولا يكون إسناده عن الصُّحُفِ

وكذا ورد الأول منهما فى الديوان ١٣٥ . وبه يستقيم وزن البيت فى المنسرح .
ورواية ثانيهما فى الديوان :

ولا يعمى معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف

معالجة النصوص

ترجيح الروايات :

تجلب إلينا مخطوطات المؤلَّف الواحد صورًا شتى من الروايات ، وفى كثير من الأحيان نجد بعض النسخ قد انفردت بزيادات لا نجدها فى النسخ الأخرى . فهذه الزيادات مما ينبغى أن يوضع تحت الفحص والخبرة ليحكم المحقق بمدى صحتها وانطباقها على سياق النسخة وأسلوب المؤلف . ولينظر فيها طويلاً فقد تكون نتيجةً لخطأ الناسخ ، فبعض المسرفين من النساخ يمزج صلبَ الأصل الذى نقل عنه بالحواشى التى أضيفت عليه من قبل القراء أو المالكين .

وقد عثرت فى أثناء تحقيقى لكتاب الحيوان على عبارة مقحمة فى نسختين من أصول الحيوان (١) ، وهذا نصها : « كنت بَعجتُ بطن عقرب إذ كنت بمصر ؛ فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو أرزة . حرَّره أبو بكر السروكنى » . فالأسلوب ليس للجاحظ ، والجاحظ لم يدخل مصر ، وعبارة « حرره أبو بكر السروكنى » شاهد بأن العبارة مقحمة بلا ريب .

وأما العبارات الأصيلة التى تزيد بها بعض النسخ على الأخرى ، ويؤيدها الفحص ، فهى جديرة بالإثبات .

والعبارات المعتلَّة التى تحمل الخطأ النحوى مرجوحة ، أجدَرُ بالإثبات منها عبارة النسخة التى لا تحمل هذا الخطأ . كما أن التى تحمل الخطأ اللغوى أو يستحيل معها المعنى ، أو ينعكس ، أو يستغلق فهمه ، هى روايه مرجوحة ، أحق منها بالإثبات رواية النسخة السالمة من هذه العيوب .

---

(١) حواشى الحيوان ٤ : ١٧٠ وانظر نصًا آخر مقحمًا فيه فى حواشى ٢ : ٢٢١ .

وهذا كله فى النسخ الثانوية . أما النسخ العالية فإن المحقق حريٌّ أن يثبت ماورد فيها على علاَّته ، خطأ كان أو صوابًا ، على أن ينبه فى الحواشى على صواب مارآه خطأ ، حرصًا على أمانة الأداء .

تَصْحِيحُ الأَخْطَاءِ :

سبق فى الفصل الماضى أن المحقق قد يجد فى تخالف روايات النسخ ما يعينه على استخراج الصواب من نصوصها ، فيختار من بينها ما يراه مقيمًا للنصّ ، مؤديًا إلى حسن فهمه . والأمانة تقتضيه أن يشير فى الحواشى إلى النصوص التى عالجها لينتزع من بينها الصواب ، وألاّ يغفل الإشارة إلى جميع الروايات الأخرى التى قد يجد القارىء فيها وجهًا أصوب من الوجه الذى ارتآه .

وقد يقتضيه التحقيق أن يلفق بين روايتين تحمل كل منهما نصف الصواب ونصف الخطأ ، فهو جدير أن يثبت من ذلك ما يراه ، على ألا يغفل الإشارة إلى الروايات كلِّها ، ففى ذلك الأمانةُ واشْراكُ القارىء فى تحملها .

وقد يقع القارىء على عدة عبارات كلها محرف ، فإذا أراد تقويمها فلابد أن يتقيد بمقاربة الصور الحرفية التى تقلبت فيها العبارة فى النسخ ، بحيث لا يخرج عن مجموعها بقدر الإمكان .

فتصحيح « ليط به » و « ليطبه » إلى « لُبِط به » بمعنى صرع ، تقويم صحيح . وتصحيح « التثقيف » و « النقنق » بـ « النفنف » بمعنى صُقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستوٍ ، تصحيح قويم أيضًا . وكذلك تصحيح « العصراء » « بالقصواء » اسم ناقة .

وهو فى هذه الأحوال كلها جميعًا لابد له أن يستعين بالمراجع التى سبقت الإشارة إلى أنواعها فى « مقدمات تحقيق المتن » (١) .

* * *

(١) انظر ص ٦٠ - ٦٤ .

نُموذَج لِتَصْحِيح بَعْضِ التَّحْرِيفَات

وهى بعض التحريفات التى ظهرت لى فى أثناء التحقيقات فى كتب شتى :

١ - (احتراز) المودة	= اجترار المودة	- أى اجتلابها
٢ - (استحقاق غموض)	= استخفاء وغموض	
٣- (استقضيت)	= استغضبت	
٤ - (اعز ترحى)	= اعر نزمى	- أى تقبضى وتجمعى
٥ - وقعة (البسر)	= وقعة البشر	
٦ - (التعويد) والإحجام	= التعريد والإحجام	
٧ - (التمور والبيور)	= التمور والببور	- جمع نمر وببر
٨ - (تنبيه) به	= شبيه به	
٩ - (ثمر صبجانى)	= تمر صيحانى	- هو نوع من التمر
١٠ - (ثوب) العنكبوت	= ثوىّ العنكبوت	- أى بيتها
١١ - (جاء فرواب)	= حافِزٌ وَابْ	- وهو الشديد
١٢ - (الجارى)	= الحُبارَى	- ضرب من الطير
١٣ - العيافة و (الجزو)	= العيافة والحزو	- الحازى : العراف
١٤ - (جموسة النياق)	= حموشة الساق	- أى دِقّتها
١٥ - (الحياة والعبث)	= الحيا والغيث	
١٦ - (خردل)	= قرزل	- اسم فرس
١٧ - عثر فى فضل (خطابه)	= عثر فى فضل خطامه	
١٨ - (خلق) الحرص	= حاق الحرص	- أى شدته
١٩ - (الدغلول) الغوائل	= الدغاول الغوائل	
٢٠ - (ذاتية) من بطن الدماغ	= دانية من بطن الدماغ	
٢١ - (رجبية الشوق)	= رحيبة الشدق	- أى واسعته
٢٢ - الكلب (الزيتى)	= الكلب الزئنى	- نوع قصير القوائم

٢٣ – (سرور)	= شرودا	
٢٤ – ناس من (السلطان)	= ناس من السُّلَطاء	– جمع سليط
٢٥ – (سول القتال)	= شوك القتاد	
٢٦ – (ظرف الشمام)	= طرف التُّمَام	
٢٧ – عقيل بن (علقة)	= عقيل بن عُلَّفة	– شاعر مشهور
٢٨ – (الغبار) والدود	= النبار والدود	– جمع نبر،وهو القراد
٢٩ – آكل (كالجنائب)	= آكل للخبائث	
٣٠ – الكلاب (كل البقر)	= الكلاب على البقر	– مثل مشهور
٣١ – ليس (يخاف)	= ليس بخائن	
٣٢ – (مالكالدبا)	= مال كالدبا	– الد با : صغار الجراد
٣٣ – متون (اكيات)	= متون الحيات	
٣٤ – (الناقص بقواه)	= الناقض لقواه	
٣٥ – (نجوع) الناس له	= بُخوع الناس له	– أى خضوعهم
٣٦ – النجوم و (الوجوم)	= النجوم والرجوم	
٣٧ – لم يتحرك	= لم يتحول	
٣٨ – (يخبر النظم)	= يجبر العظم	
٣٩– (يرضعن) الصعاب	= يَرُضْن الصعاب	
٤٠ – (يغشى) الضراء	= يمشى الضراء	– أى يسير مستخفيًا
٤١ – (يُجب له) خاطرى	= يُجيله خاطرى	
٤٢ – (فرس ثابت الفرشة)	= قرشى ثابت القُرَشيَّة	

دراسة تَعْلِيليّة لنُشوءِ بَعْضِ هَذِه التَّحْرِيفات

١ – سقطت نقطة الجيم من (اجترار) ، ثم زاد الناسخ نقطة على الراء الأخيرة لتصير كلمة مألوفة ، وهى (احتراز) .

٢ – تقاربت نقطتا (استخفاء) فصارت (استحقاء) ثم اقتربت الهمزة

واستعلت فوق واو (وغموض) فأشبهت نقطتي القاف فقرئت (استحقاق) .

٣ - كتبت غين (استغضبت) مقاربة للقاف فى استدارتها ، وانضم إلى نقطتها السكون فزاد قربها من القاف ، وزيدت نقطة إلى نقطة الباء من أسفل فصارت إلى ذاك التحريف .

٤ - صغرت فتحة راء (اعر نزمى) فصارت كالنقطة ، وتقاربت نقطتا النون والزاء فانقلبت النون تاء ، وفتح رأس الميم فأشبهت الحاء .

٦ ، ٣٦ - تضخم رأس الراء فأشبه الواو .

٩- انضم السكون إلى نقطتي التاء فى الكلمة الأولى ، وتباعدت نقطتا الياء فى الثانية .

١٠ - كتب رأس الياء من (ثوى) صغيرا فقاربَ فى ضُموره رسم الباء .

١١ - حوِّرت كسرة (حافر) فصارت همزة ، أو زيدت همزة لتباعد ما بين (حا) و (فر) .

١٢ - ضمرت سنُّ الباء من (الحبارى) فصارت (الجارى) .

١٦ - عظم أعلى القاف فأشبه الخاء ، والتصقت نقطة الزاى برأسها فزادت من شبهها بالدال .

١٨ - قربت القاف من (حا) فقرئت (حلق) ، ثم زيدت النقطة ، لأن الحرص خلق من الأخلاق .

١٩ - وكذلك اقتراب واو (الدغاول) سهَّل أن تُقرأ (الدغلول) .

٢٤ - جعلت (السلطاء) لغرابتها (السلطان) .

٣٠ - اجتمع طرفا العين فى (على) واتصلت بها الفتحة ، أو أسرف الكاتب فى كتابة الجزء الأعلى من العين وأهمل الجزء الأسفل فأشبهت رأس الكاف ، واضمحل نتوء الياء فصارت (كل) .

٣٢ - اتصلت لام (مال) بالكاف بعدها .

٣٣ - ضمر رأس الحاء من (الحيات) وعظمت فتحة الحاء فأشبهت رأس الكاف .

٣٥ - عدم الاتزان فى وضع نقط الحروف ، فاتجه ما حقه اليمين إلى اليسار وما حقه اليسار إلى اليمين .

٣٨ - تأكل رأس عين (العظم) فأصبح شبيها بالنقطة .

٣٩ - التصق سكون الضاد من (يرضن) بوصلتها فصارت (يرضعن) .

٤٠ - كتب رأس الميم من (يمشى) مرتفعًا ، ثم ضمر السكون فأشبه النقطة فقرئت (يمشى) .

ومن أندر وأقدم ما عثرت عليه من تعليل التصحيف ما جاء فى شرح القصائد السبع الطوال لابن الانبارى [1] عند الكلام على بيت الأعشى :

قالت قتيلة ما له　　قد جُلِّلتْ شيبًا شواتُه

قال : أنشده أبو الخطاب الأخفش « شواته » ، فقال له أبو عمرو بن العلاء : صحَّفت ، وذلك أن **الراء كبرت فظننتها واوا** ، إنما هى « سراته » ؛ وسراة كل شىء : أعلاه . فقال أبو الخطاب : كذا سمعته . قال أبو عبيدة : فلم نزل دهرًا نظن أن أبا الخطاب صحَّف ، حتى قدم أعرابى محرَّم [2] فقال : « اقشعرَّت شواتى » ، يريد جلدة رأسه . فعلمنا أن أبا عمرو وأبا الخطاب أصابا جميعًا .

* * *

الزِّيَادَة وَالحَذْف :

وهما أخطر ما تتعرض له النصوص ، والقول ما سبق : أن النسخة العالية يجب أن تؤدى كما هى دون زيادة أو نقص ، أو تغيير أو تبديل .

---

(١) ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٢) محرم : فصيح لم يخالط أهل الحضر .

على أننا نلمح فى مذاهب الأقدمين اتجاهًا يرمى إلى أن يلحق بالكتاب ما هو ضرورى متعين لإقامة النص ، وفى نوع خطير من النصوص ، وهو نصوص الحديث . قال ابن كثير [1] : « وإذا سقط من السند أو المتن ما هو معلوم فلا بأس بإلحاقه ، وكذلك إذا اندرس بعض الكتاب فلا بأس بتجديده على الصواب » . فقد يكون فى السند نحو « عبد الله مسعود » فلا ريب أن ذلك يكون سهوًا من المؤلف ، فإثبات (بن) لا ضير فيه ولا إخلال بالأمانة . وقد يكون فى نص المتن نحو « بنى الإسلام خمسٍ » فلاجرم أن صوابه « على خمس » فإلحاق « على » ليس فيه عدوان على الكتاب ولا على صاحبه . وكذا إذا كان المتن « بنى الإسلام على على خمس » كان المحقق فى حِلٍّ أن يحذف الحرف الزائد ، على أن ينبِّه على المحذوف . والأولى فى حالة الزيادة أن تميَّز بوضعها بين جزأى العلامة الطباعية الحديثة [ ] ، أو أن ينبه فى الحواشى على أنها مما أخلَّ به أصلُ الكتاب .

وأما النسخ الثانوية فكذلك ، لا يزاد فيها ولا يحذف منها إلا ما هو ضرورى متعين ، ولاسيما إذا وجد المحقق دعامة له فى مراجع التحقيق التى سبق الكلام عليها .

ومن البديهى أن يعمد المحقق إلى إثبات أكمل النصوص وأوفاها ، وألا يُغْفل من ذلك إلا ما يتضح أنه زيادة مقحمة لا تمتُّ إلى الأصل بسبب . ومع هذا فالواجب عليه أن ينبه على ذلك أيضًا .

وأما الزيادة الخارجية التى يقصد بها التوضيح أو إشباع الكلام فلا يصح أن تكون فى منهج أداء النص ، وللمحقق أن يشير فى الحاشية إلى ذلك الضرب من الزيادة ، فما هو إلا ضوء جانبى يعين على تجلية الصورة وتضويئها ، وليس من حقيقة الصورة فى شىء .

* * *

(١) فى الباعث الحثيث ص ١٦٣ .

التَّغْيِير وَالتَّبْدِيل :

لا ريب أن إحداثهما فى النسخة العالية يخرج بالمحقق عن سبيل الأمانة العلمية ، ولاسيما التغيير الذى ليس وراءه إلا تحسين الأسلوب ، أو تنميق العبارة أو رفع مستواها فى نظر المحقق ، فهذه تعدُّ جناية علمية صارخة إذا قرنها صاحبها بعدم التنبيه على الأصل ، وهو أيضًا انحراف جائر عما ينبغى ، إذا قرن ذلك بالتنبيه .

ومن مذاهب أداء النصوص قديماً وحديثًا ألا يلجأ المحقق إلى أى تغيير أو تبديل كان إلا ما تقتضيه الضرورة المُلِحَّة ويحتمه النص ، مما هو واضح وضوح الشمس ، متعين لدى النظرة الأولى ، أو يكون المؤلف قد نص على إجازة إصلاح أخطائه (١) . ومع ذلك فلابد لصاحب هذا المذهب من التنبيه على صورة الأصل .

وأما النسخ الثانوية فإن استخدام مراجع التحقيق مما يعين على توجيه نصوصها وتصحيح أخطائها ، التى جلبتها أقلام النساخ على تطاول الزمان . وليكن ذلك كله فى أضيق نطاق تتطلبه ظروف النص ، ومع التنبيه على الأصل أيضًا .

* * *

الضَّبْط :

إن أداء الضبط جزء من أداء النص ، ففى بعض الكتب القديمة نجد أن النص قد قيدت كلماته بضبط خاص ، فهذا الضبط له حرمته وأمانته ، وواجب المحقق أن يؤدِّيه كما وجده فى النسخة الأم ، وألا يغير هذا الضبط ولا يبدِّلْه ، ففى ذلك عدوان على المؤلف .

---

(١) انظر هذه الإجازة النادرة فى عيون الأثر ٢ : ٣٤١ .

وقد سبق فى مقدمات تحقيق المتن [١] ، أن للأقدمين طريقة خاصة فى الضبط . ومن الطبيعى أن يترجم المحقق هذا الضبط بنظيره فى الطريقة الحديثة . فالشدة والفتحة القديمة (ـــَّــ) لابد أن تترجـــم بالشدة والفتحة الجديدة (ـَّـ). وهكذا .

كثيرًا ما يرد بعض الكلمات موجهًا بضبطين ، وهذا ينبغى أن يؤدى كما ورد فى النسخة ، وإذا تعذر أداؤه بالمطبعة فليؤدَّ بالعبارة فى الحاشية .

وأما الكتب التى خلت بعض كلماتها من الضبط ، وأراد المحقق أن يضبطها فإنه حرى أن يستأنس بطريقة المؤلف ، فلا يضبطها ضبطاً مخالفاً لما ارتضاه المؤلف فى نظير الكلمة التى ضبطها المؤلف . فإذا ضبط المؤلف كلمة « ضِنّ » مثلاً فى كثير من مواضع كتابه بكسر الضاد وأهمل ضبطها فى موضع ، وأردنا أن نضبطه ، وجب أن نجارىَ ضبطه الأول ، مع أن المعروف أن الكلمة تقال أيضًا بفتح الضاد . ومثلها كلمة « المعدلة » إذا وردت فى معظم مواضعها بكسر الدال وأهملت فى موضع وأردنا ضبطه ، فينبغى أن نضبطها بكسر الدال وننبه على اللغة الأخرى .

وأما الكلمة التى لم يرد لها نظير فى الضبط فإننا نخـتار لضبطها أعلى اللغات وندع اللغة النازلة ، وإذا اتفقت لغاتٌ فى العلوِّ وأمكن أداؤها معًا فليكن ذلك .

ومما يجب أن يتنبه له المحقق ألا يضبط ضبطًا يؤدى إلى خلاف مراد المؤلف ، فبعض المؤلفين يتعمّد سرد عبارة خاطئة لينبه على تصحيحها فيما بعد ، فضبط هذه العبارة الخاطئة ضبطًا صوابًا يعد فى هذه الحالة خطأً ، لأن المؤلف لم يرد الصواب فى تلك الحالة .

ومهما يكن فإن الضبط يحتاج إلى الدقة والحرص والتريث ، كما يحتاج إلى قدر كبير من التحرز عن الانسياق إلى المألوف . فقد ترد كلمة « الكَهْوَل »

---

(١) انظر ص ٥٣ – ٥٥ .

بمعنى بيت العنكبوت ، فيضبطها الضابط خطأ بالكُهول ، و « العَلْب » بمعنى الوسم والتأثير ، فتضبط « العُلَب » إلى نحو ذلك ، مما تسوق الألفة إليه ، والألفة من أخطر البواعث على الخطأ .

ومن ذلك أعلام الناس ، يجدر بالمحقق ألا يضبطها إلا بعد الرجوع إلى مصادر الضبط ككتب الرجال ، والمؤتلف والمختلف ، والمعاجم اللغوية ، فإنّ انسياق المحقق وراء المألوف يوقعه فى كثير من الخطأ ، إذ يلتبس المصغَّر بالمكبَّر ، والمخفَّف بالمثقَّل ، والمعجم بالمهمل . ومثل ذلك أعلام البلدان والقبائل ونحوها .

* * *

التَّعْلِيق :

لاريب أن الكتب القديمة ، بما تضمنت من معارف قديمة ، محتاجة إلى توضيح يخفف ما بها من غموض ، ويحمل إلى القارىء الثقة بما يقرأ ، والاطمئنان إليه .

ومن هنا كان من المستحسن ألا يترك المحقق الكتاب غفلًا من التعليقات الضرورية التى تجعله مطمئنًا إلى النص ، واثقًا من الجهد الذى بذله المحقق فى تفهم النص وتقدير صحته .

ولكن بعض المحققين يسرفون فى هذه التعليقات بما يخرج عن هذا الغرض العلمى إلى حشد المعارف القريبة والبعيدة من موضوع الكتاب ، وهذا الأمر إن أعجب بعض العلماء فإنه حرى ألا يعجب جمهرتهم . لذلك لم يكن بد من الاقتصاد فى التعليق كما سبق القول .

ومما يقتضيه التعليق ربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض ، فقد ترد إشارة لاحقة إلى لفظة سابقة فى الكتاب ، فمن المستحسن كذلك أن يشير المحقق إلى الصفحات الماضية ، وهو إن استطاع التنبيه فى الصفحات السابقة إلى ما سيأتى فى اللاحقة ، جلب بذلك إلى القارىء كثيرًا من الفائدة ، وأضاء الكتابَ بعضَه ببعض .

ويقتضى التعليق أيضًا التعريف بالأعلام الغامضة أو المشتبهة ، وكذلك بالبلدان التى تحتاج إلى تحقيق لفظى أو بلدانى .

ويقتضى أيضًا توضيح الإشارات التاريخية والأدبية والدينية وغيرها ، التى تستعصى معرفتها على خاصة القراء .

ويقتضى كذلك فى آى الذكر الحكيم بيان السورة ورقْم الآية ، والأقرب لأمانة الأداء أن يكون ذلك فى حواشى الكتاب لا فى أثنائه ، لما يترتب على جعلها فى أثناء الكتاب من مخالفة الأصل وتشويه صورته .

وفى حديث الرسول يشار كذلك إلى تخريجها من الكتب الستة وغيرها ما أمكن التخريج .

وكذلك الأشعار والأرجاز وأقوال العرب الشاهدة ، يشار إلى الدواوين والكتب الأصيلة التى ورد فيها ذلك .

وقد أصبح النهج العلمى الحديث يقتضى المحقِّقَ أن يشير عند اقتباس نصوص فى التعليق ، إلى الموارد التى استقى منها ، وذلك بأن يذكر الكتاب ومؤلفه ، والجزء والصفحة التى وجد فيها النص .

وكان شبه ذلك قديمًا . قال أبو عبيد : مِن شكر العلم أن تستفيد الشىء ، فإذا ذكر لك قلت : خفىَ علىَّ كذا ولم يكن لى به علم حتى أفادنى فلان فيه كذا وكذا . فهذا شكر العِلْم !

قال السيوطى [١] : « ولذلك لا ترانى أذكر فى شىء من تصانيفى حرفا إلا معزوًّا إلى قائله من العلماء ، مبينًا كتابه الذى ذكره فيه » .

وقال فى الاقتراح [٢] بعد سرده لكتب ابن الأنبارى : « ولم أنقل من كتبه حرفا إلا مقروناً بالعزو إليه ليعرف مقام كتابى من كتابه ، ويتميز عند أولى التمييز جليل نصابه » .

* * *

(١) فى المزهر ٢ : ٣١٩ .

(٢) الاقتراح ص ٣ .

المُكَمِّلاَت الحْدِيثَة

لم يكن هم الناشر القديم إلا أن يعمل على إكثار نسخ المخطوطة ، بأن يسوقها إلى المطبعة لتنسخ المئين منها والآلاف ، إلا فريقًا من هؤلاء الناشرين أخذوا أنفسهم بالعناية بفنهم فراعَوُا الأمانة والدقة ، واتجهوا إلى حسن الإخراج وتوضيح النص بالقدر الذى كانوا يحسنونه .

ولقد كان لجمهرة العلماء المستشرقين فضل عظيم فى تأسيس « المدرسة الطباعية الأولى » للتحقيق والنشر . وقلت « الطباعية » لأنى أعلم أن تحقيق النصوص ليس فنًّا غربيًا مستحدَثًا . وإنما هو عربى أصيل قديم ، وضعت أصوله أسلافنا العرب منذ زاولوا العلم وروايته ، من الحديث والشعر والأدب وسائر فنون الثقافة ؛ وكان نشاطهم فى ذلك ظاهرًا ملء السمع والبصر .

وقد أدى إلينا المستشرقون هذه الأمانة الفنية نقلاً عن العرب ، فظهر لهم روائع النشر أمثال النقائض ، وديوان الأعشى ، وكامل المبرد ، وشرح المفضليات . ثم كان أكبر وسيط عربى فى نقل هذا الفن عن المستشرقين ، هو المرحوم العلّامة « أحمد زكى باشا » الذى لم يقتصر جهده على أن ينقل هذا الفنَّ فحسب ، بل أشاع معه كذلك استعمال علامات الترقيم الحديثة التى كان لها أثر بعيد فى توضيح النصوص وتيسير قراءتها وضبط مدلولها . وأشاع معها كذلك ضروبًا من المكملات الحديثة للنشر العلمى ، من أظهرها :

١ – العناية بتقديم النص ووصف مخطوطاته .

٢ – العناية بالإخراج الطباعى .

٣ – صنع الفهارس الحديثة .

٤ – الاستدراكات والتذييلات .

* * *

١ – تَقدِيم النَّـصّ

١ – ويقتضى ذلك التعريفَ بالمؤلف ، وبيان عصره وما يتصل بذلك من تاريخ . وقد كان الناشرون القدماء يعنون بهذا بعض العناية ، وربما اقتصر جهدهم على نقل نص من كتاب معين يتضمن هذه الترجمة . وكثيرًا ما وضعوا تلك الترجمة فى صفحة العنوان أو فى صفحة الخاتمة .

٢ – ويقتضى كذلك عرض دراسة خاصة بالكتاب وموضوعه ، وعلاقته بغيره من الكتب التى تمت إليه بسبب من الأسباب .

٣ – وتقديم دراسة فاحصة لمخطوطات الكتاب ، مقرونة بالتحقيق العلمى الذى يؤدى إلى صحة نسبة الكتاب والاطمئنان إلى مَتْنه . وجدير بالمحقق أن يشرك القارئ معه بأن يصف له النسخ التى عوَّل عليها ، وصفًا دقيقًا يتناول خطها ، وورقها ، وحجمها ، ومدادها ، وتاريخها ، وما تحمله من إجازات وتمليكات ، ويتناول كذلك كل ما يلقى الضوء على قيمتها التاريخية ، وهو إن قرن ذلك بتقديم بعض نماذج مصوَّرة لها كان ذلك أجدر به وأولى .

وقد جرت العادة أن يصوَّر فى ذلك وجه الكتاب وبعض صفحاته ، ولا سيما صفحته الأولى والأخيرة ؛ لأنها أدق الصفحات فى التعبير عن تقدير المخطوطات .

ومن المستحسن ألا يقدم كل أولئك إلى المطبعة إلا بعد الفراغ من طبع نص الكتاب ، وذلك لتيسير الإشارة من المقدمة إلى ذلك النص ، وليتمكن المحقق من تتميم دراسته على ضوء النسخة الأخيرة التى تخرجها المطبعة .

* * *

٢ - الْعِنايَة بِالإخْرَاجِ الطِّبَاعِيِّ

ويتناول ذلك القول فى إعداد الكتاب للطبع ، ومعالجة تجارب الطبع معالجة دقيقة .

إعْدَادُ الكِتَابِ لِلطَّبْع :

وهى ناحية خطيرة من نواحى النشر ، إذ أن لهذا الإعداد أَثَره البالغَ فى ضبط العمل وإتقانه ، فالأصل المعَدُّ للنشر يجبُ أن يكون دقيقًا مراجعًا تمام المراجعة ، مراعًى فى كتابته الوضوح والتنسيق الكامل . ويكون ذلك :

١ - بكتابة النسخة بعد التحقيق والمراجعة ، بالخط الواضح الذى لا لبس فيه ولا إبهام .

٢ - وأن يكون مستوفيًا لعلامات الترقيم التى سيأتى الكلام عليها .

٣ - وأن يكون منظم الفَقَار والحواشى .

٤ - وأن يزوَّد بالأرقام التى يحتاج إليها الباحث .

٥ - وأن يتجنب الناشر التعقيدات الطباعية .

عَلَامَات التَّرْقِيم :

وهى العلامات المطبعية الحديثة التى تفصل بين الجمل والعبارات ، أو تدل على معنى الاستفهام أو التعجب وما يُحمَل عليهما . وهى مقتبسة من نظام الطباعة الأوربى ، وإذا استرجعنا التاريخ وجدنا أن لها أصلًا فى الكتابة العربية ، فالنقطة قديمة عند العرب وكانت ترسم مجوفة هكذا (٥) . وكان يضعها الناسخ قديمًا لتفصل بين الأحاديث النبوية وكان قارئُ النسخةِ على الشيخ ، أو معارضها على النسخ ، يضع نقطة أخرى مصمتة داخل هذه الدائرة (⊙) ليدل بذلك على أنه انتهى فى مراجعته إلى هذا الموضع .

قال ابن الصلاح : وينبغى أن يجعل بين كل حديثين دائرة . وممن بلغنا منه ذلك أبو الزناد ، وأحمد بن حنبل ، وإبراهيم الحربى ، وابن جرير الطبرى .

قال ابن كثير [١] : « قد رأيته فى خط الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله . قال الخطيب البغدادى : وينبغى أن يترل الدائرة غفلاً فإذا قابلها نقط فيها نقطة » .

وللترقيم منزلة كبيرة فى تيسير فهم النصوص وتعيين معانيها ، فرُبَّ فصْلةٍ يؤدى فقدها إلى عكس المعنى المراد ، أو زيادتها إلى عكسه أيضًا ، ولكنها إذا وضعت موضعها صحَّ المعنى واستنار ، وزال ما به من الإبهام .

مثال ذلك : « وكان صعصعة بن ناجية ، جد الفرزدق ، بن غالب عظيم القدر فى الجاهلية » . فوضع فصلة بعد الفرزدق يوهم أولا أن « ناجية » هو جد الفرزدق ، ويوهم ثانيًا أن « غالبا » والد ناجية ؛ وكلاهما خطأ تاريخى ، فإن الفرزدق هو ابن غالب بن صعصعة .

ومنها علامات التنصيص («   ») التى تفصل بين الكلام المقتبس وغيره ، فلا تختلط عبارة المقتبسات بغيرها ، واستعمالها يحتاج إلى حذر ، إذ لابد أن يتيقن المحقق مقدار الكلام الذى يوضع بين العلامتين ، لئلا يضيف إلى الكلام ما ليس منه ويحذف ما يجب أن يكون فيه .

ومن ذلك الأقواس (   ) التى تستعمل فى إبراز بعض الكلمات وإظهارها .

ومنها علامة التكملة الحديثة [   ] ، وكاد المحققون جميعًا أن يتفقوا على تصويرها بالصورة السابقة ؛ وقلة نادرة منهم يضعون التكملة بين علامات أخرى كالنجوم * * أو الأقواس المعتادة (   ) . والأولى بالناشر أن يلتزم العرف الغالب .

* * *

---

(١) الباعث الحثيث ١٥١ .

تَنْظِيم الفِقَار والْحَوَاشِي :

وكان القدماء لا يعنون بتنظيم الفقار إلا بقدر يسير ، فكان بعضهم يضع خطًّا فوق أول كلمة من الفقرة ، وبعضهم يميز تلك الكلمة بأن يكتبها بمداد مخالف ، أو يكتبها بخط كبير .

ولكن جرى العرف الآن على أن تبدأ الفقرة بسطر جديد يترك بعض الفراغ فى أوله تنبيهًا إلى انتقال الكلام .

وأما الحواشى والتعليقات فلم يكن لها نظام عند الأقدمين ، إذ كانت توضع أحيانًا بين الأسطر ، أو فى جوانب الصفحة .

وأما المحدَثون فاتبعوا فى ذلك طرقًا :

١ - الأولى : أن تعزل الحواشى فى أسفل الصفحة بحرف مخالف .

٢ - الثانية : أن تلحق الحواشى جميعها بنهاية الكتاب ، ويكتفى بإدراج الإشارات إلى اختلاف النسخ فى حواشى صلب الكتاب .

٣ - والثالث : أن يُلحق الضربان جميعًا - أى التعليقات وذكر اختلاف النسخ بنهاية الكتاب .

وحجة أصحاب الطريقتين الأخيرتين ألا يُشغَل القارىء بغير نص الكتاب ، لئلا يتأثر برأى المحقق أو وجهة نظره .

أما أنا فإنى أستحسن أن يكون كل أولئك فى أسفل كل صفحة ، تيسيرًا للدارس الذى ينبغى أن يكون ناقدًا لا متأثرًا برأى غيره أو وجهة نظره ، فإن المفروض فى أغلب قراء الكتب المحققة أنهم فى درجة عالية من التبصر ، وفى طبقة رفيعة من تحرُّر الفكر .

ويستحسن كذلك أن تبتدىء كل حاشية بسطر مستقل .

* * *

الأرقام :

وقد استحدث فيها أنواع ثلاثة :

١ - أرقام صفحات الأصل المعتمد ، وتوضع فى أحد جانبى الصفحة على أن يعين بدؤها فى صلب الكتاب بوضع علامة خاصة كخط مائل (/) أو رأسى (ا) أو نجم (*) . ويقصد بتلك الأرقام التيسير على القارئ أن يرجع بنفسه إلى المخطوطة عند الحاجة .

٢ - أرقام الطبعات السابقة . وقد جرى الناشرون الذين يحققون كتبًا سبق نشرها من قبل ، أن يشيروا إلى أرقام الطبعات السابقة التى كثر تداولها ، كما صنعت دار الكتب فى نشرتها لكتاب الأغانى ، إذ أشارت إلى أرقام طبعة بولاق ابتداء من الجزء الثانى ، باقتراح الأب أنطون صالحانى . وذلك لأن كثيرًا من الأبحاث الجليلة قد اعتمدت على تلك الطبعات القديمة ، فوضع تلك الأرقام يسهل على القارئ أن يهتدى إلى تلك النصوص فى ثوبها الجديد أو القديم .

٣ - أرقام الأسطر ، وتوضع على جانب آخر غير الجانب الذى وضعت عليه الأرقام السابقة . وفائدة هذه الأرقام غير خفية عند اقتباس النصوص أو الرجوع إليها . وقد جرى العرف على النظام الخماسى ، بأن تكتب الأعداد ممثلة فى (٥ ، ١٠، ١٥، ٢٠، ٢٥) .

التَّعْقِيداتِ الطِّبَاعِيَّة :

والأمر فى كل ما سبق راجع إلى ذوق الناشر وحذقه وترفقه بالقارئ الذى ينفر من التعقيدات الطباعية التى لا تفهم إلا بالعسر ؛ فلا ريب أن للطباعة معاظلات كمعاظلات الكلام ، تؤلم القارئ كما تؤلم تلك السامعَ .

ومن ذلك ما جرى عليه بعض فضلاء الناشرين من هذا التعبير الطباعى :

(م : [نعم] ن) : معناه أن الكلمة « نعم » وضعت فى المتن عن نسخة م وإن كانت ساقطة من نسخة ن .

وأن هذا التعبير الطباعى (ن < تكاد > م ب) معناه أن كلمة « تكاد » ناقصة من نسخة ن ومأخوذة من م و ب .

ولا ريب أن استعمال هذه التعبيرات يخرج بالقارئ عن تفهم النص إلى محاولة حل هذه الرموز .

ومما عثرت عليه من تعقيد الأرقام ما صنعه أحد ناشرى أخبار أبى تمام من الإشارة إلى الأرقام بحروف تحاكى الحروف الرومانية المستعملة فى الترقيم ، فالحرف (ا) = ١ ، و (هـ) = ٥ ، و (ى) = ١٠ ، و (ن) = ٥٠ ، و (ق) = ١٠٠ ، و (ث) ٥٠٠ ، و (غ) ١٠٠٠ . ومعنى ذلك أن الرقم ٨٩٦ يترجم بهذه الحروف (ا هـ ق ى ف ق ث) . وليست هذه الطريقة بمحتاجة إلى تعليق ، وليست إلا انسياقًا نائمًا وراء بعض الأوربيين الذين يرمزون للواحد بالحرف : (I) ، وللخمسة بالحرف : (V) وللعشرة بالحرف : (X) ، وللخمسين بالحرف : (L) ، وللمائة بالحرف : (C) ، وللخمسمائة بالحرف : (D) ، وللألف يالحرف : (M) فالرقم ١٨٧ عندهم = CLXXXVII، والرقم ١٩ = XIX، والرقم ٢١ = XXI .

واستعمال هذه التعقيدات العددية لا ينجم منه إلا كد الذهن وصرفه عن نشاطه؛ إلى ما فيه من الخروج على المألوف ، وهو استعمال الأعداد الهندية فى أعلى الصفحات أحيانا ، وفى أسفلها حينا .

* * *

مُعَالَجَة تَجارِب الطَّبْع :

وَمَن مارَس فن النشر وجد أنه يجب أن يباشر بنفسه معظم الخطوات الطباعية ، ووجد أن معالجة التجارب فن يحتاج إلى مزاولة طويلة متنبهة إلى مزلات التصحيح . ومن أخطر تلك المزلات :

١ - الإِلْف ، فالمصحح الذى يقرأ التجربة بالإلف ، كما يقرأ الصحف والكتب الخفيفة لابد أن يخطىء كثيرًا ؛ لأنه لا يقرأ بعينه كلها ، وإنما يقرأ بفكره وعينه معًا ، فيجوز الخطأ عليه جوازًا وهو ليس يدرى به .

وعلاج ذلك أن يقرأ المصحح حروف الكلمة حرفًا حـــــرفًا ولا يقرأها دفعة واحدة ، فإذا انتهى من الكلمة الأولى بدأ فى قراءة الثانية على النحو السالف .

٢ - انتقال النظر عند جامع الحروف ، وهذا يحدث بوضوح فى الجمل المتشابهة النهايات ، كما فى هاتين العبارتين :

« وللحَمَام من الفضيلة والفخر أن الحمام الواحد يباع بخمسمائة دينار ، ولو أردنا أن نحقق الخبر بأن برذونًا أو فرسًا بيع بخمسمائة دينار ، لما قدرنا عليه إلا فى حديث السمر » .

ينتقل نظر الجامع من « بخمسمائة دينار » الأولى إلى ما بعد « بخمسمائة دينار » الثانية ، فيجعل بعدها « لما قدرنا عليه » . فإذا لم يتيقظ المصحح وقع فى مثل ما وقع فيه الطابع . لذلك كان من المستحسن أن تكون المقابلة الأولى مزدوجة ، أى يقابلها المصحح مع غيره من القراء الأمناء .

ويحدث أيضًا فى الجمل المتشابة البدايات ، نحو : « وكان فى جهاده من أجل الحق عنيدًا ، وكان فى جهاده من أجل الوطن مخلصًا » ينتقل النظر بعد « جهاده » الأولى ، ويجعل بعدها « من أجل الوطن مخلصا » .

٣ - تكرار النظر ، وهو أن يجمع العبارة مرتين . مثال ذلك : « البغش :

المطر الضعيف ، ويقال له (الضعيف ، ويقال له) الرذاذ » . أصل العبارة « البغش : المطر الضعيف ، ويقال له الرذاذ » .

والأمر فى هذا مثله فى سابقه .

٤ – الثقة بحروف الطباعة ، فقد ترد التاء ثاء خفيفة النقطة الثالثة لا يفطن لها إلا الخبير ، أو ترد الحاء منقوطة بنقطة خفيفة من أعلاها فيظنها المصحح بعض هنات الطبع فيهملها ، وكثيرًا ما يلتبس السكون بالضمة ، والضمة بالسكون ، والشَّدَّة ذات الفتحة بالشدة ذات الكسرة ، بعامل الانطماس .

وعلاج ذلك أن يستعمل المصحح الشك فى كل موجب للريبة ، ويتداركه قبل استفحاله ، وألا يقرَّ من الحروف إلا ما هو واضح تمام الوضوح ، ظاهر كلَّ الظهور ، فإن الحرف المريض فى التجربة يكون فى أغلب الأمر مريضا بعد الطبع[١] .

ويستحسن أن يستعان فى مراجعة التجربة الأخيرة بعين أخرى غير عين المحقق ، لأن القارئ الغريب أيقظ نظرًا ، وأدق انتباها .

* * *

(١) هذه الفقرة خاصة بأسلوب الطباعة القديم وهو ماكان يسمى بالجمع اليدوى ؛ وأيضا كان يحدث ذلك مع أسلوب الطباعة الآلى (المونوتيب والانترتيب) . أما الآن مع التقدم العلمى فى الطباعة واستخدام الكمبيوتر فهذه الفقرة هى للتاريخ فقط .

[محمد الخانجى]

٣ – صُنْع الْفَهَارِس الْحَدِيثَة

وللفهارس المقام الأول بين هذه المكملات ، إذ بدونها تكون دراسة الكتب – ولاسيما القديمة منها – عسيرة كل العسر . فالفهارس تفتش ما فى باطنها من خفيات يصعب التهدِّى إليها ، كما أنها معيار توزن به صحة نصوصها بمقابلة ما فيها من نظائر قد تكشف عن خطأ المحقق أو سهوه .

وقد أصبح عصرنا الحديث المعقَّد فى حاجة ملحة إلى اختزال الوقت وإنفاق كل دقيقة منه فى الأمر النافع .

وللفهارس سابقة قديمة عند العرب فى كتب الرجال والتراجم والبلدان ومعاجم اللغة ، ولكن لإخواننا المستشرقين فضل التوسع فى هذا التنويع الحديث ، فقد عرفنا عنهم فهارس الأعلام والقبائل والبلدان والشعر والأيام والأمثال والكتب .

وقد اقتبسنا نحن هذه الأنواع ، وزدنا فيها ضروبا أخرى كثيرة .

فممَّا ابتدعه محقق الحيوان « فهرس أنواع الحيوان » وقد بلغ عدد صفحاته نحو مائة صفحة ، وظهر هذا الفهرس مرتبًا ترتيبًا علميًا دقيقًا على هذا الوضع :

١ – تسمية الحيوان وبيان جنسه وأنواعه وأشباهه .
٢ – الكلام فى أعضائه وتطوراته وألوانه .
٣ – بيان طعامه وشرابه ، وسلاحه ، وصوته ، وصنعته ، ونفعه وضرره .
٤ – الكلام فى تناسله ، وطباعه ، وتعليمه ، وأمراضه ، وعمره .
٥ – بيان موطنه ، وأثر الطبيعة فيه ، وعلاقته بغيره من الحيوان .

فيستطيع الباحث أن يستخرج معارف كل حيوان منظمة على هذا النسق المرتب .

ومنها فى كتاب الحيوان أيضًا « فهرس المعارف العامة » التى لا تدخل تحت العنوانات المألوفة فى الفهارس ، وقد بلغ نحو ثلاثين صفحة .

ومنها فيه أيضا « فهرس المباحث الكلامية » التى تتعلق بعلم الكلام .

وفى كتاب البيان والتبيين : « فهرس البيان والبلاغة » وكذلك « فهرس الحضارة » ، ويشمل نظم العرب الاجتماعية والسياسية والمالية والخلقية والتعليمية .

وفى كتاب مقاييس اللغة « فهرس مافات المعاجم المتداولة ، أو انفرد به ابن فارس » .

وفى شرح المفضليات « فهرس الأوصاف » و « فهرس التشبيهات » .

وابتدع الأستاذ محب الدين الخطيب فى نشر كتاب « الميسر والقداح » « فهرس مافى متن الكتاب من لغات الميسر والقداح وصفاتهما وأدواتهما » .

كما صنع الأب أنستاس مارى الكرملى فى نشر « الإكليل » فهرس المعمرين والفهرس العمرانى . وله فهارس أخرى طريفة فى نشر « نخب الذخائر » .

وكذلك ابتدع الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى نشر « حلية الفرسان » ١١ فهرسًا تتعلق بالخيل .

وصنع الأستاذ كوركيس عواد فى نشر « الديارات للشابستى » فهرسا عمرانيا طريفا .

ولغير هؤلاء من إخواننا المحققين العرب جهود أخرى موفقة فى الفهارس ، قد يضيق بسردها هذا المقام .

وإنما ذكرت هذا كله لأسجِّل هذه الاتجاهات العلمية الحديثة التى تحاول أن تبحث الكنوز وتقلِّبها المرة تلو المرة ، لتعثر على مايفيد العلم والتاريخ الحضارىّ .

وأكثرت من عرض ذلك أيضًا لأقول : إن لكل كتاب منهجًا خاصًّا فى فهرسته دون التقيد بالطرق العامة للفهارس . وهى الطرق التقليدية القديمة ، أى التى كانت حديثة بالأمس ، إذ أن الفهارس ماوضعت إلا لتمكين القارئ من أن ينتفع بالكتاب غاية الانتفاع .

طُرُق صُنْع الْفَهَارِس :

أمثل الطرق لصنع الفهارس طريقتان :

١ – طريقة الجذاذات ، يكتب فيها ما يراد فهرسته ، ثم يرتب ترتيبًا هجائيًا على أوائل الكلمات ثم ثوانيها ثم ثوالثها وهكذا .

ويهيأ لفرز هذه الجذاذات صندوق خاص ، مقسم إلى بيوت صغيرة يحمل كل بيت منها اسم حرف من حروف الهجاء .

ولهذه الطريقة عيبان :

أولهما : احتمال فقد بعض الجذاذات .

والثانى : أنها عمل أشبه ما تكون بالعمل الآلى .

٢ – طريقة الدفتر المفهرس ، الذى يخصص لكل حرف من الحروف أوراقا خاصة ، يخصص سطر منها أو أكثر لكل مادة من مواد ذلك الحرف بحسب ما يتوقعه المفهرس .

وهذه الطريقة أضبط من سالفها ، إذ تكون مواد الفهرس تحت المراقبة الدقيقة والمقارنة المستمرة . ولكنها لا تستغنى عن الطريقة الأولى ولاسيما فى الفهارس الكبيرة ، إذ يُضطر المفهرس إلى كتابة جذاذات للترتيب فحسب ، بعد أن يضع على كل جذاذة رقمًا مطابقًا للرقم الذى وضعه فى الدفتر إزاء كلمتها ؛ ليجعله دليلا له فى كتابة الفهرس بعد ترتيبه [١] .

اسْتِخْرَاج الْفَهَارِس :

تحتاج الفهارس إلى تمهيدات فى النسخة التى ترصد للفهارس ، بأن يضع المفهرس علامة على مايريد فهرسته من الكلمات . وبعض المفهرسين يميز كل

---

(١) قلت : وقد اهتديت إلى طريقة أمثل من هاتين ، وهى طريقة الأوراق المقسمة المجموعة بخيط جانبى . تثنى فيه الأوراق بحيث تمثل أربع بطاقات متصلة أو ضعفيها أو أضعافها ، وينفذ خيط فى الزاوية العليا لتكوين مجموعات من الجذاذات المتصلة التى تفصل بعد استتمام كتابتها ، ثم ترتب بعناية تامة وتراجع لتأخذ دورها فى التسجيل تمهيدًا للجمع الطباعى .

نوع من أنواع ما يراد فهرسته بلون خاص ، أو يضع بإزائه رمزًا يدل على نوعه مثل « ق » للقبائل و « ع » للعلم و « ح » للحديث و « م » للمثل ، و « ل » للكتاب ، وهكذا ، فإذا انتهى من تسجيل الكلمة فى الجذاذة أو فى الدفتر صنع علامة أخرى تفيد أنه قد فرغ من كتابتها . ذلك لأن المفهرس جدير أن يسلك السبيل التى تجلب إليه الطمأنينة أن عمله قد سار على دقة بالغة فى الاستيعاب ، إذ أن فقد كلمة أو رقم صفحة يسلب الفهرس قيمته .

* * *

تَرْتِيبُ الْفَهَارِس :

ويشمل : أ – ترتيب كل فهرس فى نطاقه نفسه .

ب – ترتيبه مع غيره من الفهارس .

(أ) أما الأول فمن اليسير أن نُجرىَ هذا الترتيب بوساطة صنع مجموعات مرتبة على الثوانى ثم الثوالث وهكذا . وينضبط هذا العمل ويسهل باستعمال « صندوق الجذاذات » .

وترتيب (آى الذكر الحكيم) جرى كثير من المحققين فيه على اتباع السُّورة ورقم الآية ، فبعضهم مع ذلك يرتب السور على حسب ورودها فى الكتاب العزيز ، وبعضهم يرتب السور على حسب حروف الهجاء . وقد جريت على ذلك فى كثير من منشوراتى ، ولكن وجدت فى تجربتى الطويلة أن فى ذلك شيئًا من الصعوبة ، وأنه لا يجدى الباحث كثيرًا ، لاسيما إذا كان بحثه عن آية يجهل سورتها مع علمه بلا ريب يبعض ألفاظها ، فاهتديت بعون الله إلى طريقة ميسرة للتهدى إلى آيات الكتاب بترتيبها فى نطاق المواد اللغوية ، اعتمادا على بروز بعض كلمات الآية .

مثال ذلك :

أرب : ولى فيها مآرب أخرى ص ٥ .

بتل : وتبتل إليه تبتيلا ص ١٠ .

ترب : يخرج من بين الصلب والترائب ص ١٥ .

ثوب : وثيابك فطهر ص ٢٠ .

وهكذا [(١)] .

ومثل هذا يقال في ترتيب (الأحاديث النبوية) التي ينبغي أن ترتب حسب المواد اللغوية أيضًا .

وترتيب (الأعلام والبلدان والقبائل) ونحوها ليس فيه شيء من العسر إلا في مراعاة « الإحالات » . وذلك فيما إذا ورد العلم مرة باسمه ، وأخرى بكنيته أو لقبه ، فتحول أرقام كل من الأخيرين إلى « الاسم » لأنه هو المعتمد في الترتيب . وينبه المفهرس القارئَ إلى ذلك .

وأما الكنى والألقاب التي لم يَرِد لها اسم تردُّ إليه فإنها توضع كما هي في ترتيبها .

وبعض المفهرسين يعتبر كلمة « ابن » و « أبو » و « ذو » ، فيضعها في الألف والذال ، وبعضهم يهمل ذلك فيرتب ما أضيفت إليه فقط ، فابن الحسن في الحاء ، وأبو اليسر في الياء ، وذو الإصبع في الألف . وبعضهم يهمل « ابن » و « أبو » فقط ويجعل « ذو » في الذال . وهذا النظام الأخير هو الذي ارتضيته في فهارسي وهو النظام الغالب بين المفهرسين . والأمر كله لا يعدو الجري على نظام خاص .

وأما ترتيب (الشعر) فإنه متنوع الضروب :

وأقل صورة لترتيبه أن يرتب على القوافي من الهمزة إلى الياء ثم الألف في آخرها ، ثم ترتب كل قافية على أربعة أقسام : الساكنة ، ثم المفتوحة ، ثم المضمومة ، ثم المكسورة ، ويضاف إلى آخر كل قسم من هذه الأقسام ما يمكن أن يختم بالهاء الساكنة ثم المضمومة ثم المفتوحة ثم المكسورة .

---

(١) انظر فهرس القرآن الكريم الملحق بشرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ص ١٠٦ ، ١٠٧

وقد يضم إلى هذا الترتيب ترتيب آخر ، وهو ترتيب البحور الستة عشر . وقد يضم إليهما ترتيب ثالث هو صاحب الشعر ، وفى كل ذلك ترتب الصفحات فى كل قافية على حدة .

أما أنا فقد سرت فى معظم كتبى الأخيرة على نهج خاص فى الترتيب قصدت به التيسير والضبط ، إذ سرت على طريقة ميسرة ، ملغيًا ترتيب البحور ، لجهل كثير من الناس بها أو بتطبيقها ، وهى طريقة شبيهة بالعروضية فأجعل ترتيب كل مجموعة من القوافى على النسق التالى :

فَعْل – مفَعَّل – فُعُل – فواعل – فعال وأفعال – فعول وفعيل مثل : أهلُ – المعوَّلُ – سُبُلُ – عواذلُ – الخَيال وأمثال – تقول وسليل .

وتفسيرها من علم القافية – وهو ما لم أقصده – أن ترتب على أنواع القوافى التالية :

المتواتر . المتدارك . المتكاوس أو المتراكب . المؤسسة . المردوفة بألف . المردوفة بواو أو ياء .

وجعلت كل المشطورات من السريع والمنسرح والرجز فهرسًا واحدًا ، سميته « فهرس الأرجاز » ؛ وذلك لصعوبة التمييز بين هذه البحور الثلاثة ، ولأن أرجاز العرب جاءت على هذه البحور جميعًا .

وقد يعترى المفهرسَ بعض الصعوبات التى تحتاج إلى إعمال الفكر . وأذكر أننى حين قمت بفهرسة الأعلام لكتاب « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ، راعنى كثرة الأعلام التى لو ذكرت جميعها لظهر الكتاب فى ثلاثة أضعافه على الأقل ، فهو كثيرًا ما يذكر أبناء رجل يتجاوز عددهم العشرة والعشرين والثلاثين يسردهم سردًا ، ولاسيما أبناء الخلفاء والأمراء والولاة . فنظرت فى ذلك طويلاً وبحثت عن طريقة معقولة تجمع بين الإيجاز والاستيعاب . فأغفلت ذكر أبناء الخلفاء والأمراء ونحوهم حيث يذكر آباؤهم ، مكتفياً بذكر أرقام هؤلاء الآباء فى

تلك الحالة بين قوسين (   ) إشارة منى إلى أنَّه الموضع الذى ذكر فيه أبناؤهم . أما إذا ذكر الأبناء وحدهم فى موضع آخر فإن أرقامهم تثبت فى تلك الحالة . وأما القبائل فقد ذكرت أرقام الآباء والأبناء فيها بالتفصيل ، ووضع موضع الإنسال بين قوسين أيضًا (   ) بيانًا لأنه الموضع الهام [١] .

وهكذا لن يعدم شيء من تلك الصعوبات حلًّا يتيحه إعمال الفكر ، والتحرر من إسار التقليد ، ما دام العمل فى حدود الدقة والضبط ، والحرص الصادق على إفادة الباحث من أيسر طريق .

(ب) وأما ترتيب الفهرس مع غيره من الفهارس فإن المنهج المنطقى يقتضى تقديم أهم الفهارس وأشدها مِساسًا بموضوع الكتاب . فإن كان الكتاب كتاب تراجم وتاريخ قدِّم فيه فهرس الأعلام ، أو كتاب أمثال قدِّم فهرس الأمثال ، أو قبائل قدم فهرس القبائل وهكذا . ثم تساق بعده سائر الفهارس مرتبة حسب ترتيبها المألوف .

* * *

---

(١) انظر مقدمة جمهرة أنساب العرب ص ١٨ .

٤ – الاسْتِدْرَاك وَالتَّذْيِيل

ولا يعدو الأمر مهما أجهد المحقق نفسه وفكره فى إخراج الكتاب ، أن تفوته بعض التحقيقات أو التوضيحات ، أو يزل فكره أو قلمه زَلة تقتضى المعالجة ، ففى باب الاستدراك والتذييل الذى يلحق غالبًا بنهاية الكتاب ، مجال واسع لتدارك ما فات محقق الكتاب أو شارحه ، أو ما زَلَّ فيه فكره أو قلمه .

وبعض الناشرين لا يحل هذا الأمر محله من العناية ، ليسدل ثوب الجلال على كتابه ، فيزعم لنفسه بتركه هذا الاستدراك أن كتابه قد سلم من الخطأ ، فكان بذلك كالنعامة ، إذ تخفى رأسها زاعمة أن أحدًا لن يراها ، لأنها لا تراه ! .

إن الخطأ فى معالجة النصوص أمر مشترك بين العلماء جميعًا ، لا إثم فيه ولا حوب ، ولكن كتمان الخطأ فيه الإثم والتقصير فى أداء الأمانة . ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل !

* * *

صُعوبَات التَّحقيق والطَّريقَة المثْلَى لمعالجَتِها [١]

إن الصعوبات التى تعترض فى سبيل نشر المخطوط وتحقيقه لا يمكن أن توضع لها حدود خاصة ، فلكل مخطوط طبيعته التى ينفرد بها ، واستغلاقاته التى يختص بها . على أنه يمكن القول بأن هناك مصاعب عامة تقوم فى وجه من يتصدى لهذا العمل الخطير :

١ - رداءة المخطوط ، من حيث نوع الخط الذى كُتب به . فقد يكون غير متميز ، أوغير واضح النقط والإعجام ، أو مكتوبًا بخط تتصل فيه الحروف اتصالاً مبالغًا فيه ، أو ملتزمًا فيه قاعدة غريبة لا يمكن معرفتها إلا بالدربة المتواصلة ، والمعالجة الصابرة . وأخص بالذكر من ذلك المخطوطات ذات الخط المغربى أو الأندلسى .

٢ - رداءة المخطوط من حيث التحريف والتصحيف الذى يقع فيه كاتبه ، أو من حيث الأسقاط الكثيرة التى تحيل فهم النص أحيانًا ، أو تجعله عسرًا مستعصًيا .

٣ - رداءة المخطوط من حيث تعرضه لعوامل البلى والتآكل ، أو انطماس بعض كلماته ، أو اندثار بعضها بسبب جهل القائمين بصناعة التجليد ، إذ يتجاوزون الحد المعقول فى تسوية أطراف المخطوط . وقد يجنى هؤلاء القوم على نظام

---

(١) أحببت إضافة هذا الفصل فى هذه النشرة لما له من ذكرى تاريخية عندى ، بالإضافة إلى أنه يعالج مشكلة . وهو نص مقال لى فى العدد الأول من مجلة (الأسرة) التى كانت تنشرها أسرة اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة فاروق (هى الآن جامعة الإسكندرية) . وقد صدر هذا العدد فى مايو سنة ١٩٥٠ .

الكتاب فيضعون بعض أوراقه فى غير موضعها فيوقعون قارئ النص فى لبس كبير .

٤ - غرابة الموضوع الذى يعالجه المخطوط ، ولاسيما إذا لم يجد المحقق نظيرًا لمخطوطه فى موضوعه .

٥ - غرابة المخطوط فى لغته . ونحن نجد لبعض قدماء المؤلفين أساليب خاصة ، وألفاظًا تلزمهم ويلزمونها ، وتفهمهم ويفهمونها .

هذه هى أبرز الصعوبات التى تواجه محقق النص . ويمكن مواجهتها بما يلى :

١ - أن يجمع المحقق أكبر عدد مستطاع من نسخ الكتاب الذى يعالجه ويقابل بعضها ببعض مقابلة دقيقة كاملة مستوعبة .

٢ - أن يعمد إلى تقليب مخطوطاته وتكرار قراءتها حتى يألف خطها ويعرف الاتجاه العام فيها .

٣ - أن يلجأ إلى المراجع التى يظن أن المخطوط استقى منها ، أو التى يرجح أنها قد استقت منه ، ويستعين فى التحقيق بمقابلة هذه على تلك ، ومراجعة كل منهما على الأخرى .

٤ - أن يتأنّى فى فهم النص ، ويغلب جانب الشك على جانب اليقين حتى يأمن العثار فيما يقترح من تصويب وتصحيح .

٥ - أن يكون للمحقق صلة تامة بدراسة أسلوب المؤلف فيما ترك من آثار أخرى . وأن يكون ذا معرفة وثيقة بعصر المخطوط ، أعنى العصر الذى ألف فيه لا العصر الذى كتب فيه ، فإن ذلك يلقى ضوءًا كبيراً على فهم المعارف التى يتضمنها المخطوط ، وعلى تبين الأسلوب واللغة التى كتب بها . ولابد من الرجوع إلى المعجمات اللغوية وأمهات المراجع العلمية الملائمة لاستفتائها فيما جل وفيما صغر .

٦ - أن يكون ذا خبرة بما يتعرض له الكلام من التصحيف والتحـريف ،

الكتابى والسمعى . ومن عجب أن الحذق بالتصحيف والتحريف هو خير وسيلة لمعالجة التصحيف والتحريف .

انظر إلى هذه الأبيات المحرفة :

يقاسى نداماهم (ويلقى ألوفهم	من الجذع) عند الكأس أمرا مذكرا
يحزننى أن (أطعمتمانى)	ولم تنالا سوى الكلام
إن الذين (اعتروا بالحر غرته	كمنتزى)الليث فى عريسه الأشب

وصوابها :

يقاسى نداماهم (وتلقى أنوفهم	من الجدع) عند الكأس أمرا مذكرا
يحزننى أن (أطفتما بى)	ولم تنالا سوى الكلام
إن الذين (اغتزوا بالحر غرته	كمغتزى)الليث فى عِرِّيسِه الأشِب

٧ - أن يحتال ويحسن الحيلة فى تقدير ما انطمس ، وحرز ما بتر ، والمرانة الطويلة ، والصبر الجميل ؛ والشعور الصادق بالمسئولية العلمية ، هى العون الأول لمن يلتمس النجاح فى هذا الميدان .

٨ - استشعار الأمانة ، والحد من الجرأة على قراءة النصوص ، مما يقرب عمل المحقق إلى الصحة ، ويدنيه من الصواب ، ويباعد بينه وبين الخطل والعدوان على النص .

٩ - وأريد أن أنبه إلى أن عمل المحقق إنما هو تأدية نص المؤلف إلى القارئ كما صنعه المؤلف ، لا كما يستحسنه المحقق . أعنى بذلك أن نحتفظ للمؤلف بهنَاته وأخطائه . ومن هنا يخطىء كثير ممن يتصدى لتحقيق النصوص فيخلُقها خلقًا جديدًا طريفًا لم يدر بخلد أصحابها . ومهمة المحقق إزاء هذه الأخطاء التى لا يرتاب فى وقوعها من المؤلف أن يثبتها كما هى ، مشيرًا فى الحواشى إلى ما يراه من رأى فى صوابها .

* * *

نماذج مُصَحَّفة مُحرَّفَة

يتلوها صواب تلك النماذج

١

ولما التقينا للوراع ودمها — ودمى يغيضان الضبابة والوجدا
بلت لؤلؤا وطبا فغاصت مدامعى — عتيقا فصاد الطل فى بحرها عقدا

٢

متحيزين على الطريف كأنهم — قد مسهم حن من الصحراء
شاء بلا داع يؤلف بينها — وزواحل تمشى بغير حداء
ابن الدليل على السبيل يسوفها — ويدور عنها حولة الأعداء

٣

ولما انفصى شهر القيام بفصله — تحلى هلال العبدمن جانب العذب
كحاجب شنج ساب من طول عمره — يسير لنا بالرمز للأكل والسرب

٤

لأتى محمد المرحى فيضه — ملل إلى أغلى العلى نهاض
فيد ترفق بالندى لوليه — ويد على الأعراء شم قاض

٥

أفول لصخب صحت الكاس شملهم — وراعى صبابات الهدى يترنم
خذوا ماصغا من عيسنا قبل فوته — فكل وإذ طال المدى يتصرم

٦

ومانبت غاب يهزم الجنس حوقه — بمشية وثاب على النهى والزخر
يحر إلى أتباله كل ليلة — غفيرة وحش أو قبيلا من السفر
بأجرأ منه حد يأس وعزمة — إذا ما ترا قلب الجنان إلى النحر

٧

وقلوا بداه السقم فاعتد جسمه — عساه برى فى الصبر عن حبة عزبا

إذا كنت أهدى خضرة لنحوله   أأسلوه لما صاد أجمعه خَضَرا

٨

لو كن يوم العراق حاصرنا   وهن يطغين لدعة الوجد
لم تر إلا زموع باكية   تسفح من قلة على ورد
كأن تلك الرموع فطر ترى   يفطر من نرجس على حد

٩

جرى حب المكاره منـ   ـه مجرى الروح فى الحسد
وأعطى الحال حتى قا   ل طلات الصلاة قد

١٠

بعثت بها أشياه أخلاقك الدهر   بخطين من طيب المذاقة والنشر
ملدنة لدنين تحكيهما معا   بتلك الأيادى البيض والنغم الحضر

١١

ما بال صبحى قد تعارب خطوه   وأبطأ حتى لبس يرحى قرومه
كأن تخوم الليل فندها الدجى   وأوفقها فى مرضع لا تريمه

١٢

لقد كان هذا الدين ينهر قبله   وسيم بنوه الحشف جودا وأرهفوا
فجاء به الله العناد بلطفه   غياسا لهم والله بالخلف أرفق

١٣

فذبحت بالحب ما تحقيه من أحد   خنى جرت بك أطلاقا مخاضير
تتفى أمورا فما تدرى أعاجبها   خير لنفسك أما فيه تأخير

١٤

سما للفلا بالسيف والصيف والندى   وفهر الأعادى واجتياب المحارم
فسيان ما بين الذى جد سعيه   لكثب المعالى والذى للدرى هم

١٥

سراح هدى عم الحجار نبوره   وأشرق ما صم الحطيم ورمرما
فـلله لم حـق أقـام وبـاطـن   أراك وكم جور أفاض وأسحما

١٦

أقول للعبس إذ تلوى أرمتها   لإلفـهـا ولـهـا فى الدر تحنان
رديم ياها من المعروف طامنة   بناتها التبر لاشيخ وسعدان
تروم ما رمت للدنيا بساستها   فاسلم فأنت لهذا الخلف عمدان

١٧

دار التى كان قلبى أن يحن بها   إذن ألم به من ذكرها لحم
إذا تـذكـرهـا قـلـبى تـضـيـقـه   هم تضيف به الأحناء والكظم
والبين حين يروع القلب طائفة   يرى ويظهر منهم بعض ما كنموا
إنى امرؤ كفنى ربى وأكرمنى   عن الأمور التى فى غيها وحم
وإنما أنا إنسان أعيج كما   عاش الرجال وعاشت قبلى الأمم

١٨

ويعجبنى الفتى وأظن حيرى   فأكشف منه عن رجل لئيم
تقيد بعضهم بعضًا فأضحوا   بـنـى أبـويـن قـرا مـن أديم
فطاف الناس بالختن بن سهل   طـوافـهـم بـزمـزم والخطـيـم

١٩

خـوالـد مـاجـدا لـيـل بـهـارا   وما حسن الصبايا فى الشباب
وهن إذا رسمت بهن قوما   كأطراق الحمائم فى الرقاب
وهـن إذا أقـمـت مـثـافـرات   تـهـاواهـا الـرواة مع الـركـاب

٢٠

برد الليل والنهار أبا وهـ ـب وهبت عليك ريح يرود
وأتاك السناء يسعى وما عنـ ـدك إلا الإخلاص والتوحيد
وثبات لبستها أول الضيـ ـف إلى أن علاك برد سديد

٢١

خليلى ما لى كلما حبت الضيا أحسن إلى الأفق الذى تتيمن
أكلفها حمد السلام إليكم فان حظرت يوما عليكم فسلموا
كأن الصبا عندى وسول مبلغ ألوح بأسوارى إليه فيكتم

٢٢

قالت وفاء العين يعسل كحلها عيد الفراق بمستهل يسجم
يالبيت أنك يا سعيد بأرضنا تلقى المواسى ناويا وتخيم
لا توجعن إلى الحجاز فإنه بلدية عيش الكريم مذمم
وهلم جاوزنا فقلت لها اقصرى عيس بطيبة ويح غيرك أنعم

* * *

الوجه الصحيح للنماذج السابقة

١

ولما التقينا للوداع ودمعها ودمعي يُفيضان الصبابة والوجدا
بكت لولؤًا رطبا ففاضت مدامعي عقيقًا فصار الكلُّ في نحرها عِقْدا

٢

متحيِّرين على الطريق كأنهم قد مَسَّهم جنٌّ من الصحراء
شاء بلا راعٍ يؤلف بينها وزواحف تمشي بغير حُداء
أين الدليل على السبيل يسوقها ويذود عنها صولة الأعداء

٣

ولما انقضى شهر الصيام بفضله تجلّى هلال العيد من جانب الغرب
كحاجب شيخ شاب من طول عمره يشير لنا بالرمز للأكل والشرب

٤

لأبى محمد المرجّى فيضُه ملكٍ إلى أعلى العلا نهّاضِ
فيدٌ تَدَفّق بالنّدى لوليه ويد على الأعداء سمٌّ قاضِ

٥

أقول لصحب ضمّت الكأسُ شملَهم وداعي صبابات الهوى يترنّم
خذوا ما صفا مِن عيشنا قبلَ فوته فكلٌّ وإن طال المدى يتصرم

٦

وما ليثُ غابٍ يهزم الجيش خوفُه بمشية وثّابٍ على النهى والزجر
يجر إلى أشباله كلَّ ليلة عقيرة وحش أو قتيلا من السفر
بأجرأ منه حدَّ بأسٍ وعزمة إذا ما نزا قلبُ الجبان إلى النحر

٧

وقالوا براه السُّقم فاعتلَّ جسمُه عساه يرى في الصبر عن حبّه عذرا

إذا كنتُ أهوَى خَصْرَه لنُحولِه   أأسلوه لمَّا صار أجمعهُ خَصْرَا

٨

لو كنتَ يوم الفراقِ حاضرَنا   وهنَّ يُطفين لوعة الوجد
لم تَرَ إلا دموعَ باكية   تُسفَح من مُقْلةٍ على ورد
كأنَّ تلك الدموعَ قطرُ ندًى   يقطر من نرجس على خد

٩

جرى حبُّ المكارم منـ   ـه مجرى الروحِ فى الجسدِ
وأعطى المالَ حتى قا   ل طلابُ الصِّلاتِ قَدِ

١٠

بعثتَ بها أشباهَ أخلاقِك الزُّهرِ   بحظَّين من طيب المَذَاقة والنَّشْر
ملونة لونين تحكيهما معًا   بتلك الأيادى البيض والنعم الخضر

١١

ما بال صبحى قد تقارَبَ خطوُه   وأبطأ حتَّى ليس يُرْجَى قدومه
كأنَّ نجومَ الليل قيَّدها الدُّجى   وأوقفها فى موضعٍ لا تَرِيمه

١٢

لقد كاد هذا الدينُ ينهدُّ قبله   وسِيمَ بنوه الخسفَ جورًا وأُرهقوا
فجاد به الله العبادَ بلطفه   غياثًا لهمْ والله بالخلق أرفق

١٣

قد بحتَ بالحبِّ ماتُخفيه من أحدٍ   حتى جرت بك أطلاقًا محاضير
تَبْغِى أمورًا فما تدرى أعاجلُها   خيرٌ لنفسك أم ما فيه تأخير

١٤

سما للعلا بالسيف والضَّيف والندى   وقهرِ الأعادى واجتناب المحارمِ
فشتانَ ما بين الذى جدَّ سعيُه   لكسب المعالى والذى للدراهمِ

١٥

سراجُ هدًى عمَّ الحجاز بنوره　　وأشرقَ ما ضمَّ الحطيمَ وَزَمزما
فلله كم حقٍّ أقام وباطلٍ　　أزالَ وكم جودٍ أفاض وأثجما (١)

١٦

أقول للعيس إذ تلوى أزمَّتها　　لإلفها ولها فى الدار تحنان
ردى مياها من المعروف طامية　　نباتها التبر لا شيح وسعدان
تدوم ما دمت للدنيا بشاشتها　　فاسلمْ فأنت لهذا الخلق عمران

١٧

دار التى كاد قلبى أن يُجنَّ بها　　إذا ألمَّ به من ذكرها لَمَمُ
إذا تذكَّرها قلبى تَضَيَّفَه　　همٌّ تضيق به الأحشاء والكَظَم (٢)
والبينُ حين يروع القلبَ طائفُهُ　　يُبدى ويظهر منهم بعض ما كَتَموا
إنى امرؤٌ كفنى ربى وأكرمنى　　عن الأمور التى فى غبها وخَمُ
إنما أنا إنسان أعيش كما　　عاش الرجال وعاشت قبلى الأمم

١٨

ويعجبنى الفتى وأظنُّ خيرًا　　فأكشفُ منه عن رجلٍ لئيمِ
تَقَيَّلَ بعضُهم بعضًا فأضْحوا　　بنى أبوين فُرَّا من أديم
فطاف الناس بالحسن بن سهلٍ　　طوافَهُم بزمَزمَ والحطَيم

١٩

خوالدُ ، ما حدا ليلٌ نهارًا　　وما حَسُنَ الصِّبا بأخِى الشَّبابِ
وهنَّ ، إذا وسمتُ بهنَّ قوما ،　　كأطواق الحمائم فى الرقاب
وهنَّ ، إذا أقمتُ ، مسافراتٌ　　تَهاداها الرُّواة مع الرَّكابِ

---

(١) أثجم المطر : دام أياما لا يقلع .
(٢) الكظم : مخرج النفس من الحلق .

٢٠

برد الليلُ والنهار أبا وهـ ـبٍ وهبَّتْ عليك ريح بَرُود
وأتاك الشتاءُ يسعى وما عنـ ـدك إلا الأخلاق والتوحيد [١]
وثيابٌ لبستَها أول الصيـ ـف إلى أن عَلاك بردٌ شديد

٢١

خليليَّ مالى كلَّما هبت الصَّبا أحنُّ إلى الأفق الذى تتيمَّمُ
أكلِّفها حملَ السلام إليكم فإن خطرت يومًا عليكم فسلموا
كأن الصبا عندى رسول مبلِّغ أبوح بأسرارى إليه فيكتم

٢٢

قالت وماءُ العين يغسِلُ كُحلَها عند الفراق بمستهلٍّ يسجم
يا ليت أنك ياسعيدُ بأرضنا تُلقِى المَرَاسِىَ ثاويًا وتخيِّمُ
لا ترجعنَّ إلى الحجاز فإنه بلد به عيش الكريم مذمَّم
وهَلُمَّ جاوِرْنا فقلت لها اقصِرِى عيشٌ بطَيبةَ ويح غيرِكِ أنعَمُ

* * *

---

(١) الأخلاق : الثياب البالية . والتوحيد : ضرب من التمر يكون بالعراق ، وبه قد يفسر قول المتنبى :

يترشفن من فمى رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

معجم
لبعض التصحيفات التي وردت في كتاب الحيوان للجاحظ (١)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
الأبرد	الأبرد اليربوعى	الأبيرِد
ابكين	ابكين ياهند	ابكى
أترقص	كنت أترقّص فى مشيتى	أتوقّص : (هو ضرب من الإسراع)
أجبرناك	إن كنت فقيرا أجبرناك	جبرناك
الأجود	السابح الأجود	الأجرد
احترشه	من مال احترشه	احتوشه : (استولى عليه)
احتوشه	من ضب قد احتوشه	احترشه : (صاده)
الأحدين	إحدى الأحدين	إحدى الإحَد
الأحزاب	سرب الأحزاب	الأخراب أوالأخرات:(للمزادة)
أخذته	أخذته حمرتها	أجدَتْه : (أعطته)
فاجزم	إذا قمتَ فاجزم	فَأجِذْم : (أسرِعْ)
الأحْوص	اسم شاعرمعين	الأخوص
الأخوص	اسم شاعرمعين	الأحوص
أدع	أدع الكماة إلى النزال	أدعُو
أدعبه	أدعبه فيها	أوعبه
أذانى	أذانى خيالها	أتانى
أرمل	له أرملٌ شديد	أزمل : (صوت)
استباقا	زوّدوك استباقا	اشتياقا
استسفر	استسفربذنبه	استثفر: (جعله على ثَفْره)
استغن	لم استَغْن	لم أستَعِنْ : (حَلَق عَانتَه)
أسق	لم أسق	لم أستَعِنْ : (حَلَق عَانته)
الاسم	يرتكب الاسم	الإثْم : (الذنب)
أسميه	أسميه فى المرعى	أسِيمُه : (من السّوم)

(١) هذه نماذج لتصحيح بعض التحريفات والتصحيفات حسب موقعها الموضوعى . وقد يتغير التوجيه فى مواضع أخرى من المخطوطات .

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
الأسنان	رضيع الأسنان	الإنسان : (من رَضع معه)
شىء	أشبه شىء	شيئًا : (أى قليلاً)
الإشعار	يلتمس الإشعار	الإسعاد
الأشعر	الأشعر الجعفى	الأشعر
أطلّتهم	أطلّتهم أمور شداد	أظلّتْهم
أطنبنا	وقد أطنبنا للضيف	أطبنا : (قدّمنا الطيِّب)
الأطول	الأطول المعتمدة	الأصول المعتمدة
اعترى	اعترى إليهم	اعتَزَى : (انتَسَب)
أعذبه	أعذبه تربةً	أعذاه : (أطيبه)
أعصاب	أعصاب الدعوة	أعضاء
أعقل	لا أعقل منه شيئا	أغفل : (أترك)
أعنيها	الزرْق الثلاث أعنيها	أعْيُنُها : (جمع عين)
الأقناء	الأقناء من الدواب	الأفتاء : (جمع فتىّ)
أفراق	أفراق السهام	أفواق : (جمع فُوق)
أفنائه	أقعد فى أفنائه	أفيائه : (جمع فىء)
الأكتن	الأكتن من القوم	الأكَسّ:(بارز الأسنان السُّفلى)
أكتاف	لا يرعون أكتاف الهوينى	أكناف : (جمع كنَف)
الكرم	الكرم بها	أكرِم بها : (تعجب)
أناله	أناله أن يتوب	أَنَى له : (جاء الوقت)
أبو عمرو بن	أبو عمرو بن الأنبارى	أبو عمرو وابن الأنبارى
اغتباطه	شدة أنفته واغتباطه	وامتعاضه : (استيائه)
أنيس	أنيس بن منقر	أقيش : (قبيلة)
أهوذ	أهوذ بن بهراء	أهْوَد

(ب)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
باب	باب الفرزدق	بيت
بابه	الموكب بابه من السير	بابةٌ : (نوع)
بالرحيل	بالرحيل السلسل	بالرحيق

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
بالقدعة	تضرب بالقدعة	بالمِقدعة : (ما يقدع به)
بالكنابة	تعلم بالكنابة أو الإشارة	بالكتابة
بالمنى ما	مُوثَق بالمنى ما	بالمنايا : (جمع مَنيّة)
بذلوا	بذلوا به	مَذِلوا : (ضجروا)
برانى	برانى الله ما أخلفت	يَرَانى : (يعلم)
بربرها :	بربرها : يكتبها	يزْبُرها
بصدريه	يضرب بصدريه	أصدريه : (جانبيه)
بضم	بضمّ السمهرىّ	بصُمّ السمهرىّ
بطيّة	من بلاد بطيّة	نَطِيَّة : (بعيدة)
بغاء	بُغاء التركى	بُغَا : (أحد الأمراء)
بقرات	سبع بقرات	بَعَرات
بلائى	بلائى فعلت كذا	بلأيٍ : (شدّة ومشقّة)
بكر بن كلاب	بنو بكر بن كلاب	أبى بكر (قبيلة)
بيانية	فتحة بَلْهَ بيانية	بنائيّة
بينّ	بينّ المهدة	لينّ المهزّة

(ت)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
تبكى	أرسلت تبكى	نَبْلى
تتكثر	كادت تتكثر	تتكسر
التحبير	فى كتاب التحبير	التخمير
تحدثت	تحدَّثت عليه تغلب	تحدَّبت : (عطفت)
تخرقت	تخرقت الأرض	تحرَّقت
التخليص	بكثير من التخليص	التلخيص
ترف	من ترف الخمر	نُزَف : (جمع نُزفة)
التزيد	بشىء من التزيد	التَّربدُ : (نبت)
تشبيها	تشبيها بها	تشبيبًا بها
تفرق	تفرق الصمغة	تقرف : (تقشر)
تقدير	تقدير كلامه	تقرير
تقيم	لا تنام ولا تقيم	ولا تُنيم

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
تقيم	تقيم الأضلاع	تضمّ
تنفضت	تنفضت النار	تنقّضت:(سمع لها صوت)
توالى	أتى المصيف وتوالى المربع	وتولّى
لم تؤذ	لم تؤذ متنه	لم تؤُد
التيمى	الأعشى بن نباش التيمى	التميمى
وتوافقا	تحالفا وتوافقا	وتواثقا

(ث)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
تغلب	تغْلب بن يربوع	ثعلبة
الثكلاء	يضحك الثكلاء	الثكلى

(ج)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
جارية	در جارية	جاذبة
جائز	جديس بن جائز	جائر
الجائز	أحد الجائز	الجائزين
جبنة	إنما سألت جبْنة	جَنْبة
جحوان	جحوان بن فقعس	حَجْوان
الجَداء	الجَداء : العطية	الجَدَا
جديد	فؤاد جديد	حديد : (قوى)
جذاعة	يسود جذاعةً	جِذَاعَهُ
جراد	ذو ذنب جراد	جرّار
جراد	الحناتم جراد خضر	جِرار
جملة	وهى جملة لا تعمل	مهملة
بجمله	تشبيها بجُملة النعش	بحَمَلة ، (جمع حامل)
جمة	ضفادى جمّة	جَمّه : (معظم الماء)
جبذل	صخر وجبذل	وجندل
الجهيم	بنى الجهيم	الهُجَيم
جؤبة	ساعدة بن جؤبة	جُؤَيَّة

(ح)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
الحاجبين	وشتان ما بين الحاجبين	الحاجتين

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
حادث	خرج إلى معنى حادث	ثالث
لؤى	حارثة بن لؤى الطائى	لأم
حامية	ولا تُحجزته حامية	جافية
لأبى حبيب	لأبى حبيب	لابن حبيب
حديثا	صرت له حديثا	خدينا : (صاحبا)
الحديث	ليس لا تدل على الحديث	الحدَث
حديدا	حديدا وباليا	جديدًا
حزبى	رجال حزبى	جَربى
الحزبى	شفاء الحزبى	الجربَى
حسبتك	ما حسبتك هذه المدة	ما حبستك
حبّابة	حبّابة جارية يزيد	حَبَابَة
الحسينى	العلامة الحسينى	الحَسَنى
حصاه	ألقى حصاه	عصاه
الحصين	الحصين بن المنذر	الحضين
حلب	رشاءا حلب	خُلْب
حول	على حول البئر	جُول
حيّا	حيّا لكم الطريق	حيَّ : (وضَحَ)

(خ)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
خارج	غير خارج	حارج : (مذْنب)
خِلفةً	ضئيل الشخص خلفةً	خِلقةً
خِلفة	أعطاه خلفةً	خِلْعةً
الخلق	لينّ الخلق	الخدّ
وخوف	ذهول وخوف	وخَرَف

(د)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
الدجّال	وفتنة الدجّال	
	(فى عبارة عن النساء)	الرجال
الدعاة	صنعة الدعاة	الرعاة
الدعل	الحقد والدعل	والدَّغَل
دُاود	دُواد بن ربيّعة	ذُؤاب

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
دوحة	ويلمها دَوحة	دَوحةً

(ذ)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
الذيّاج	أبو الحسن الذياح	الدبّاج .

(ر)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
وراجيته	إذا جاملته وراجيته	وداجيته
رادع	هو فيها رادع	وادع : (من الدعة)
رافزة	رافزة الباب	زافرة
راقم	راقم : أطم	واقم
الرجال	أعوذ بك من فتنة الرجال (للمستقبل)	الدجّال
الرجال	الموشّى على لون الرجال	الرّحال
رزق	رزق الأسنان	رَوَق : (طول)
الرزم	يوم الرزم	الرَّدم
رعبوب	طريقهم رعبوب	دُعبوب
الرفعة	هادى الرفعة	الرُّفقة
رواية	رواية الأعشى	راوية

(ز)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
الزجاج	الزجاج	الزجاجى
وزميل	له زجَل وزميل	وزمير
زول	زول الثياب	رذل : (حقير)
أبو زيد	أبو زيد الكلابى	أبو زياد

(س)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
السائر	وأسدل السائر	الستائر
سرائر	وضربت سرائر الأمثال	سوائر
سكنت	سكنت الفرات	سَكَرت : (سدّت فاه)
السدى	سلمى بن ربيعة السدى	السِّيدى : (من بنى السِّيد)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
سطورها	أرخيت سطورها	ستورها
سعد بن	سعد بن هذيم	سعد هذيم
سعيت	سعيت عندك	سُبِعت : (شُتمت)
سعيد	سعيد بن ذبيان	سعد
سعيد	سعيد بن غريض	سَعْية
سليل	سيف صارم وسليل	شليل : (الدرع)
السليمى	عبد الله بن خازم السليمى	السُّلَمى
وسمرته	جنونه : طوله وسمرته	وسموقه : (ارتفاعه)
سنك وكل	معرب سنك وكل	سَنْك كِلْ
سنين	بعد سنين	بعد سنتين
السيرج	–	الشيرج

(ش)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
شتاء	شتاء من النوى	تشاءٍ : (تفرُّق)
شرحا	شرحًا واحدًا	شَرْجًا : (ضربًا)
الشكر	الشكر : العطية ابتداء	الشُّكْد
الشىء	وقوع المفرد موقع الشىء	المثنى
بشيئين	معلق بشيئين	بسِبَّين : (حبلين)

(ص)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
الصادرة	بنو الصادرة	الصاردة
الصفدى	الصفدى	الصُّغدى
الصُّغدى	الصُّغدى	الصُّفَدى
صغير	شيخ صغير	قصير
صلبت	صلبت الماء	صببت
الصياح	فتيان الصياح	الصَّباح : (الغارة صبحًا)

(ض)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
ضامرة	ضامرة على جرّتها	ضامزة : (ممسكة)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
ضحينا	خرجنا ضحينا	ضُحَيًّا : (تصغير ضحى)
ضربة	حمى ضربة	ضَرِيَّةَ
ضلال	ضلال غمام	خلال
ضمر	ضمر بن ضمرة	ضمرة
	(ط)	
طلبكم	طلبكم الدلال	صِبُّكم : (عادتكم)
وطيّاء	فهى طاوية وطيَّاء	وطَيّا
الطيبرسى	ضياء الدين الطيبرسى	الطبرسى
	(ظ)	
الظباة	حد الظُّباة	الظُّبات : (جمع ظُبَة)
ظهرها	يستراد اللبن فى ظهرها	ضرعها
	(ع)	
عاجل	رمل عاجل	عالج : (موضع)
العادى	النابح العادى	العاوى
عاذة	عاذه وغالبهُ	عازّه
عداتهم	وشدة عداتهم	عداوتهم
عبد الله	عبد الله بن الحر	عُبيد الله
عذبة	أقبل من عذبة	عَدَنة : (موضع)
عشرت	عشرت بذنَبها	عَسَرت : (رفعته)
العطايا	ضرب من العطايا	العظايا
عظكم	إذا عظكم كسر	عَظمكُم
علاّته	على علاّته	عِدّانه
عمرو	عبد الله بن عمرو بن مخزوم	عُمَر
أبو عمرو	أبو عمرو الجرمى	أبو عُمَر
عمرو	عمرو بن لجأ	عُمَر
عمرو	عمرو بن مخزوم	عُمَر

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
عمرو	طلحة بن عمرو بن عبد الله	عُمَر
العنتيل	أبو العنتيل	العمثيل
عنه	عنه	منه
عود	عود بن غالب	عَوذ
عوى	عَوَى أمرهم	غَوَى
والعينى	والعينى واضح	والمعنى
	(غ)	
غزها	فى غزها	غَرْزها : (ركاب الرحْل)
الغزى	مندل بن على الغزى	العنزى
غَضَبا	سباها غَضَبا	غَصْبًا
غضبهم	غضبهم حقى	غصبهم
غلى لى	برد غلى لى	غليلى
غيابة	غيابة من الطير	غَيايَة
	(ف)	
الفارسى	الفارسى شارح الهذليين	القارى
فاصل	أبيض فاصل	قاصل
فاصل	سيف فاصل	قاصل : (قاطع)
فتر	فتر عن دينه	فُتِنَ
فخيّرها	فخيّرها سمراء	تخيّرها
الفرج	العديل بن الفرج	الفُرْخ
الفرس	وحشى الفرس	القوس
فزوان	زرارة بن فزوان	فروان
فضلة	فضلة	نضلة
فيمن	فيمن ذكرنا	فى من
فيهم	فيهم بمنزلة من رمى	فهُمْ
	(ق)	
القالى	–	الفالى
القسرى	الصمة القسرى	القشيرى

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
قصد	أزرى به إذا قصد	قصّر
القلبة	القلبة وهى ليلة الثلاثين	الفَلْتة
قليبة	لم تكن به قليبة	قلَبَة
قنع	ما مالى بذى قنع	قَنَعَ : (كثرة)
وقوّته	فى ضعفه وقوّته	وقِلّته
قيالا	ما رزأته قيالا	قبالًا : (زمام السير)
القيس	القيس بن جسر	القين : (قبيلة)
قيظ	يربوع بن قيظ	غيظ
القيل	تخضب القيل الدرقة	النّبل : (السهام)

(ك)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
كالدرية	كالدرية والفطنة	كالدربة
كالمجلح	أحقب كالمجلح	كالمحلج
كالمشلول	يمشى كالمشلول	كالمشكول
كانت	كانت تتكسر	كادت
الكبد	موضع الكبد من ظهر الفرس	اللّبد
الكثرة	أضعفته الكثرة	الكِبْرة : (علوّ السن)
فكذلك	فكذلك لم يستطع	فلذلك
كرز	آل كرز	كوز
الكليتان	الكليتان والعَلاة	الكلبتان
كيداء	قوس كيداء	كبداء

(ل)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
لا جرم أنك	فزارة تقول لا جرم أنك	لا جَرَ أنّك
لازما	لازما لا تصلح	لأنّها
لا غزو	لا غزو	لا غَرْوَ
لباذر	لباذر متكرم	لبادل
للتعظيم	للتعظيم والتشؤم	للتعصُّم
لا غلاس	لا غلاس ظهره	لانملاس ظهره
لح	لح عليه القىء	ألحّ

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
لحجى	لحجى بن خالد	لحُجر
لحقت	لحقّت إليها	لخفّت
ولخفته	ولخفته من أجل ذلك	ولحِقَته
لعلك	لعلّك عاثرا	لعًا لك
للضيق	التماسا للضيق	للضَّيْف
لفائق	إنّ هذا لفائق	لقائف (من القيافة)
اللمع	كتاب اللمع	الملَّع
لمناره	لا يهتدى لمناره	بمناره
اللنجر	رست على الَّلنجر	الأنجر
لها	أحبب لها	بها
ليدرس	ليدرس	لا يدرس

(م)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
مالك	مالك النحاة	ملك
المباداة	المباداة فى الكرم	المباراة
المترفة	الرقبة المترفة	المُشرفة
المترفة	السيوف المترفة	المشرفية
متغولان	متغولان فى الإيهام	متوغّلان
متغيّظ	فهو متغيّظ	مُتعَبَّط : (مقتول)
متفرقة	متفرقة إلى ذلك	مفتقرة
المتنبل	الوادى المتنبّل	المتبقّل
مثل	طوال مثل الأعناق	مِتَلّ
مثله	شر مثله	منك
المجتبى	المجتبى لابن دريد	المجتنَى : (كتاب)
المجدين	ابن ذى المجدين	الجدّين
محرقا	نارا محرقا	نار محرّق
محيال	محيال	مجبال
مخروم	آل مخروم	مخزوم
مدن	مدن الإقبال	معدن

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
مراحلها	قيّدها فى مراحلها	مراحها
المراحم	وافد المراحم	البراجم
مرصع	رخام مرصّع	موضّع
المستجنح		المستنجح
مستحصل	مستحصل الأوتار	مستحصد : (محكم الفتل)
مستقلة	والهمزة مستقلة	مستثقلة
مصائد	مصائد السباع	مصايد
مصر	فى مصر كعب بن مامة	عَصرْ
مضر	أقبل من مضر	مِصْر
مضعة	قلق فى مضعة	مَضْجعه
معز	نحو فخِذ ومعز	ونَغِر
مَغَص	مغص الرّجل	مَعَص : (التواء العصب)
مغويا	صاح مغويا	مغوّثا : (مستنجدًا)
المفاخر	المفاخر للمفضل	الفاخر
مفاد	مفاد من السفر	مَعَاد : (عودة)
المقتشين	من المقتشين	المتقنين
مفرغ	فى باذخ ومفرغ	مَفْرع : (علوّ)
مقاربة	مقاربة الذنب	مقارفة
المقدّم	الوشيج المقدّم	المقوّم
مكوما	تحسبه مكوما	مكسوحًا : (مكنوس)
المكنف	المزمّل بمعنى المكنف	الملفّف
ملت	ملت النار	قلّة
المكى	خارجة بن فليح المكى	المللى
مندنف	مندنف بها	من دنَف
منقّها	منقّها	منقّها
منه	منه	عنه
المهذة	لين المهذة	المهزّة
المهمة	الظروف المهمة	المبهمة
المياه	ماء المياه	المسنّاة

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
مَيْسنَهُ	ميسون من مَيْسنَه	مَسنَهُ
مئلاء	المآلى : جمع مئلاء	مِئلاة

(ن)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
ناقته	ناقته وعارضته	نافَتْه
نائل	من هو نائل	قائل
النائلى	أبو عبد الله النائلى	الناتلى
النبيل	حصن لهم يقال له النبيل	البتيل
نخالفهم	أرادوا أن نخالفهم	نخاليهم
النَّدا	الندا	الندى
نسوق	درٌ نسوق	نَسَق : (منتظم)
نصيته	نصيته	نصية
نقع	نقع قرقرة	فَقْع : (ضرب من الكمأة)
نفثة	كان أحسننا نفثة	بقيّة
نفيضه	وقلّما نفيضه كثرما	نقيضَة
نكائثه	نكائثه فيهم	نكايته
النمرى	الراعى النمرى	النميرى
نهى	أضحت بلادهم نهى	نُهبَى
النوائر	كانوا فى النوائر والصميم	الذوائب

(هـ)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
هو	وهو شم العرانين	هم

(و)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
وأراكا	وأراكا	ورآكا
وانى	وانى	رآنى
وجود	من وجود عشرة	وجوه
وجودا	كان سمحا وجودا	وجوادا
وراية	وراية	رواية
الوشيح	الوشيح المقوم	الوشيج

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
الوشيح	الوشيح : ضرب من السير	الوسيج
ووقاه	بلغه ووقاه	ووافاه
وألاح	وألاح بياض البياض	والآح
الوثيقة	طرد الوثيقة	الوسيقة : (الطريدة)

(ى)

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
ينون	ينون الأمر عليه	يبتُّون : (يقطعون)
يتحجر [1]	بها يتحجّر	ينجحر : (يدخل الجحر)
يتنضد	يكاد يتنضد	يتفصّد : (يتدفق)
لم يُتْح	لم يتح بنجد	لم يُنخْ
يتعاتبان	يتعاتبان بالهجاء	يتعابثان : (من العبث)
يجيبها	لا يجيبها	يجسُّها
يحسنهم	يحسنهم ما يحتقرونه	يجيئهم
يحصل	ما يحصل	يجعل
يدخل	ولم يدخل عليه دليل	يدلّ
يدى	يدى الدهر	يَدَ
يرمون	لا يرمون فى الشتاء	يَبْرَمون : (من البَرَم)
يزده	إن يزده	يَذَره
يزيد بن	يزيد بن سعد بن زيد مناة	يريد بنى
يسقى	يسقَى عليهم بالكأس	يَسعَى
يصح	ويصح	ويَضِح : (من الوضوح) ؟
يطعمون [2]	يطعمون فيهم	يطمعون
يعدى	يعدى بها الذئب	يَعوى
يعزّهم	وكان يعزّهم	يعشُرهم : (يجبى العُشْر)
يعقوب بن	حكى يعقوب بن عمارة بن عقيل	يعقوب عن

(١) وقد يأتى العكس فيصح بالعكس .

(٢) وقد يأتى العكس فيصح بالعكس .

الكلمة	العبارة التى وردت فيها	الصواب
يغشى	يغشى الضِّراء	يَمشِي : (فيما يوارى من الشجر)
يفزع	لا يفزع من أمر	يفرُغِ
يقال	يقال إلى حيث الخصب	تَعالَ
يقع	إذا يقع الصراخ	تَقَع : (علا واشتدّ)
يكفون	لا يكفون عن النزول	يكِعُّون : (يجبنون)

* * *

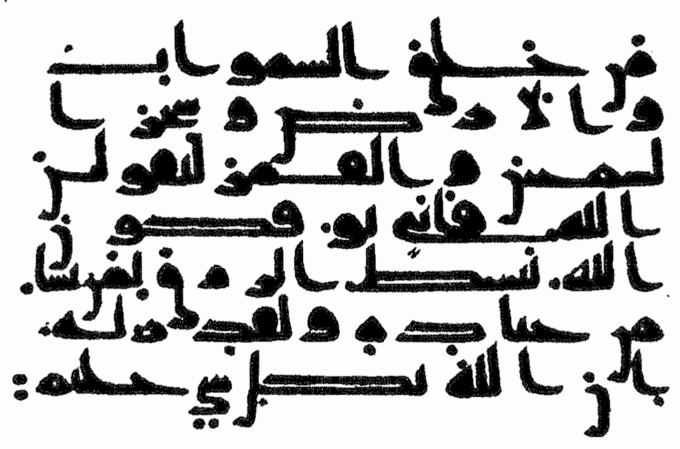
خاتمـــــــــة

وأما بعد ، فهذا ما أدته إليَّ الدراسة الباحثة ، وهدتنى إليه تجارب الأعوام الطوال . ولعل فى هذا ما يمنحنى العذر فى أن أسوق الحديث أحيانًا عن عملى وعن تجربتى ، فى زمان أربى على الثلاثين عامًا [١] . والحديث عن النفس مملول مطَّرح ، ولكنه إذا أريد به فى الأول والآخر خدمةُ العلم ورعاية الفن ، فارقته مسحة الإملال ، وأوشك أن يكون سائغًا مقبولا .

* * *

(١) وأستطيع أن أقول الآن : إنه أربى على الخمسين عامًا ، فإن بين هذه الطبعة [الرابعة] والطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ نحو عشرين عامًا .

نماذج لبعض المخطوطات



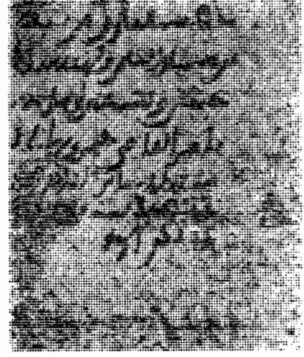
ورقة من مصحف مكتوب بخط كوفى على الرق ، فى أواخر القرن الثالث الهجرى (ميلانو : أمبروزيانا . H 441 - بمعهد المخطوطات - جامعة الدول العربية) .

وقراءتها :

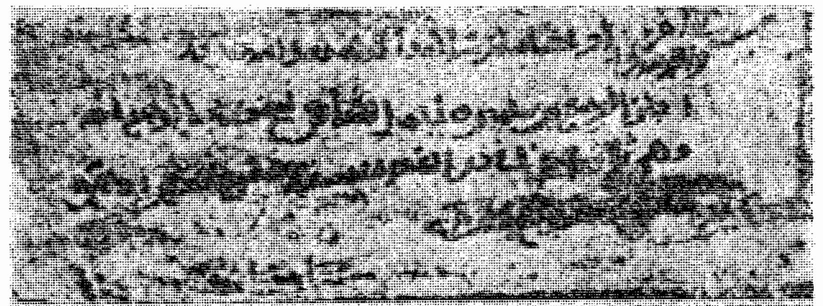
﴿ مَن خلَق السموات
والأرضَ وسخّرا
الشمسَ والقمرَ ليقولنَّ
الله فَأنّى يُؤفكون
الله يَبسط الرزقَ لمَن يشاءُ
من عبادِهِ ويقدِر لهُ
إنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ ﴾

(الآية ٦١ ، ٦٢ من سورة العنكبوت)

وقد اتبع فى الكتابة نقط أبى الأسود الدؤلى . انظر تفصـــيل هذا فى ص ٥٤ .

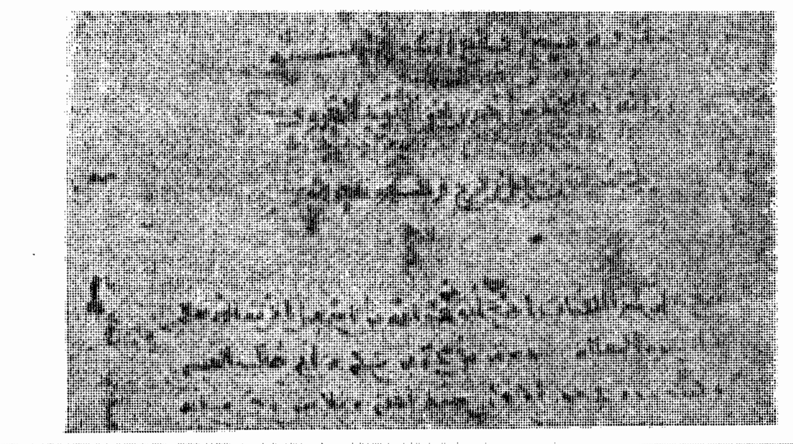


قطعة من مكتوب على ورق البردى مؤرخة بتاريخ سنة ١٩٥ . وهى من الصورة رقم ٥١ من اللوحة رقم ٧ من الجزء الأول من كتاب الأوراق البردية تمثل خط القرن الثانى الهجرى .

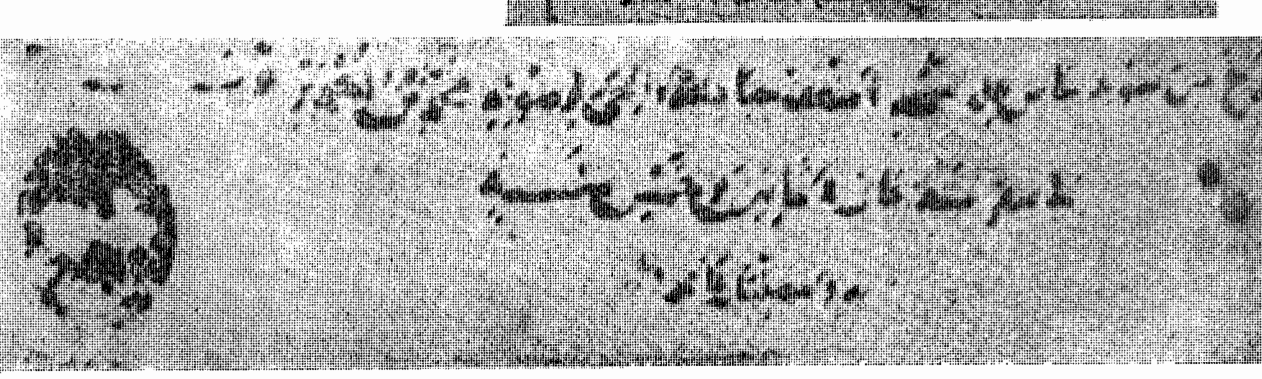


إجازة بخط الربيع بن سليمان تلميذ الشافعى ، كتبها فى آخر نسخة من رسالة الشافعى . كتبت سنة ٢٦٥ . وهى من الإجازات الغريبة . انظر ٣٦ من هذا الكتاب .

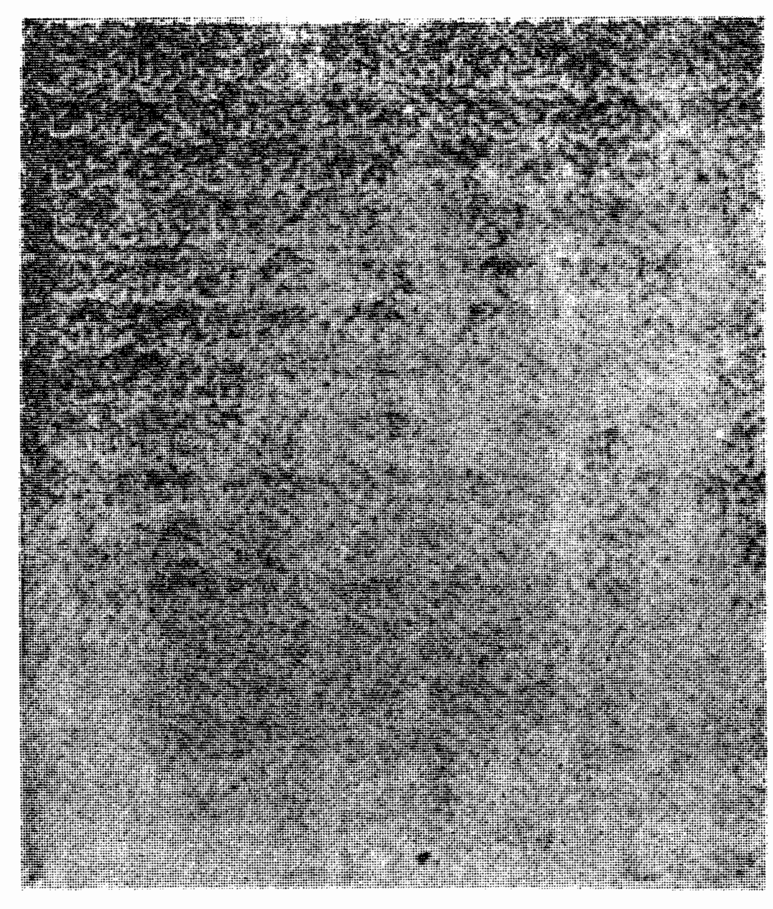
صورة سماع أبى القاسم أحمد بن الحسن ، على أحمد بن فارس صاحب مقاييس اللغة ، تاريخه سنة ٣٧٢ . وهذا السماع مسجل على نسخة مكتبة المنصورة من « كتاب إصلاح المنطق » لابن السكيت .



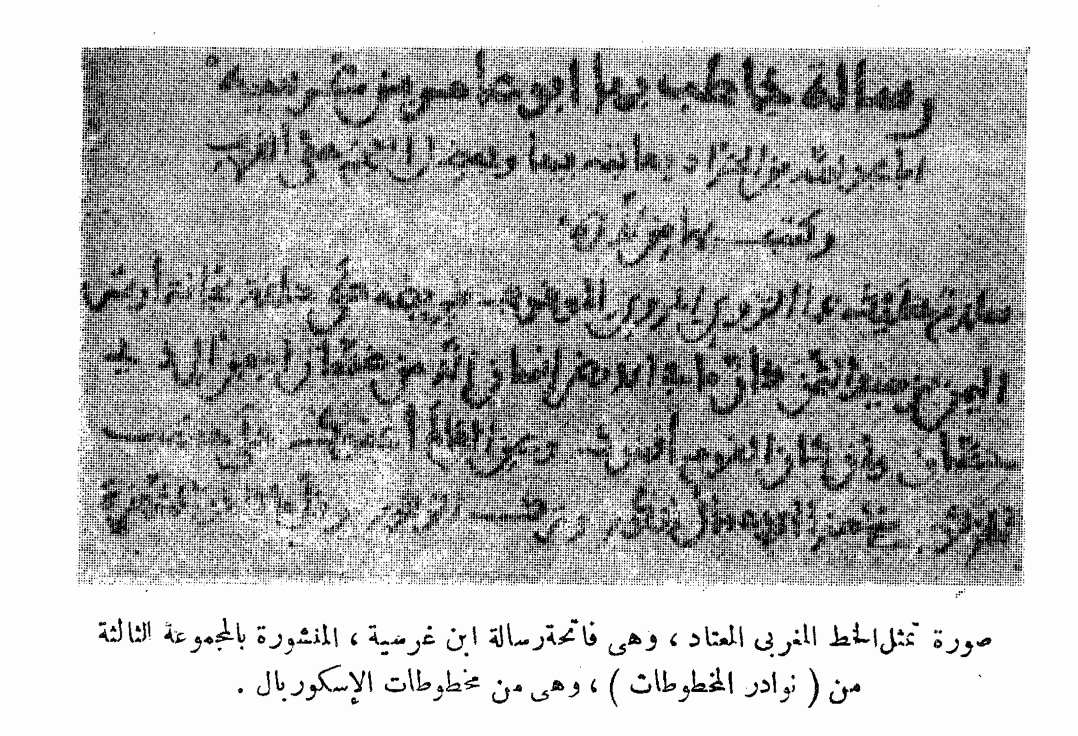
صورة صفحة العنوان من نسخة مكتبة الإسكوريال من كتاب «إصلاح المنطق» بخط كاتبها عبد الله بن إسماعيل بن فرج، وفيها أيضاً سماعه على جعفر بن محمد بن مكى بن أبى طالب القيسى ٥٣١ .



صورة من الصفحة الأخيرة من «شرح الحماسة للمرزوقى» بخط محمد بن أحمد بن أيوب . سنة ٥٨٨ من نسخة مكتبة لا له لى بتركيا .



صورة من الصفحة الأخيرة من نسخة كوبريلي من (البيان والتبيين) للجاحظ ، بخط أحمد بن سلامة ابن سالم المعرى سنة ٦٨٤ .

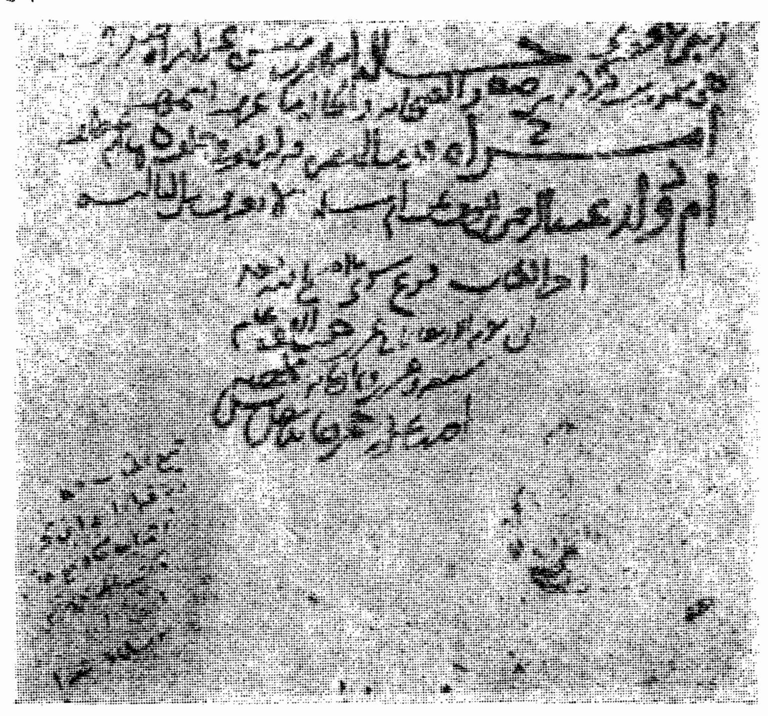

رسالة خاطب بها ابو عامر بن غرسيه

صورة تمثل الخط المغربي المعتاد ، وهي فاتحة رسالة ابن غرسية ، المنشورة بالمجموعة الثالثة من (نوادر المخطوطات) ، وهي من مخطوطات الإسكوريال .



من ورقة العنوان للمجلد الحادى عشر من كتاب (تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، تأليف العبد الفقير إلى الله محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبى) المتوفى سنة ٧٤٨ من نسخة بخطه سنة ٧٢٦ . وقد سجل عليها قراءة على الذهبى ، لخليل بن أيبك بن عبد الله الصفدى المتوفى سنة ٧٣٥

(مخطوطة أيا صوفيا ٣٠٠٥ - معهد المخطوطات)



صورة من الصفحة الأخيرة لكتاب «تقريب التهذيب» للحافظ ابن حجر، بخطه وكتب سنة ٨٢٧.
وتجد في الزاوية اليسرى شهادة بخط السيد محمد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس هي نموذج لخطه

الباب الثامن
عشر في ذكر الدروع

الدروع فمن نعم الله عز وجل الجسيمة التي انعم بها على الناس من قال المفسرون في قوله
تعالى وسرابيل تقيكم بأسكم انها الدروع وانها لسوابغ الوجل ما تراخى الأجل
ولذلك قال عباد بن الحصين وقد سأله رجل أي درع كنت تحب أن تلقى عدوك فيها فقال السابغ أجل
متأخر وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم درع يقال لها ذات الفضول وكانت له
درع أخرى إذا علقت بين زرافينها لم تمس الأرض وإذا أرسلت مست الأرض وكان عليه
السلام لابسها يوم الحرب لابسا وكان له درعان أصابهما من بني قينقاع يقال لإحداهما
السعدية وقيل إنه كان عنده درع داود عليه السلام التي كانت عليه يوم قتل جالوت
ويروى أن لقمان الحكيم كان يجالس داود عليه السلام وداود يصنع الدرع ولم يدر لقمان
ما هو ولم يسأله عنها فلما أكملها لبسها وقال إنها لحصن ليوم بأس فعلم لقمان

صورة تمثل الخط الأندلسي، وهو قطعة من كتاب حلية الفرسان، لابن هذيل، كتبت في سنة ١١١٠.

الفهارس

١ – فهرس منهج الكتاب

* * *

٢ – فهرس المصطلحات والمسائل الفنية

٣ – فهرس الأعلام

* * *

٤ – فهرس القبائل والطوائف ونحوها

* * *

٥ – فهرس البلدان والمواضع ونحوها

* * *

٦ – فهرس الكتب التى كانت موضع دراسة فنية

* * *

مراجع البحث

إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطى ، السعادة ١٣٣٦ .
أخبار النحويين البصريين ، للسيرافى . الجزائر ١٩٣٦ م .
اختصار علوم الحديث ، لابن كثير . صبيح ١٣٧٠ .
إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى ، للقسطلانى ، بولاق ١٣٠٤ .
إرشاد الأريب ، لياقوت . دار المأمون ١٣٢٣
الأغانى ، لأبى الفرج الأصفهانى . دار الكتب من سنة ١٣٤٧ .
الإكليل ، للهمدانى . تحقيق الأب أنستاس . بغداد ١٩٣١ م .
أمالى الزجاجى ، تحقيق عبد السلام هارون . المدنى ١٣٨٢ .
الأمالى ، لأبى على القالى . دار الكتب ١٣٤٤ .
إمتاع الأسماع ، للمقريزى ، تحقيق محمود شاكر . لجنة التأليف ١٩٤١ م .
إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الكتب من ١٩٥٠ م .
الأنساب ، للسمعانى . ليدن ١٩١٢ م .
الباعث الحثيث ، شرح اختصار علوم الحديث ، للشيخ أحمد شاكر - صبيح ١٣٧٠ .
بغية الوعاة ، للسيوطى ، السعادة ١٣٢٨ .
البيان والتبيين ، للجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٦٩ .
تارج العروس ، للزبيدى ، الخيرية ١٣٠٦ .
تاريخ بغداد ، البغدادى . القاهرة ١٣٤٩ .
تدريب الراوى ، شرح تقريب النواوى ، للسيوطى . الخيرية ١٣٠٧ .
التصحيف والتحريف . للعسكرى ، تحقيق عبد العزيز أحمد . الحلبى ١٣٨٣ .
التعريف بالمصطلح الشريف ، لابن فضل الله العمرى . العاصمة ١٣١٢ .
تعريف القدماء . تأليف لجنة إحياء آثار أبى العلاء . دار الكتب ١٣٦٣
تنبيه الملوك والمكايد ، منسوب خطأ للجاحظ . مصورة دار الكتب برقم ٢٣٤٥ .
تهذيب التهذيب ، لابن حجر ، حيدرآباد ١٣٢٥ .
تهذيب اللغة ، للأزهرى . الجزء الأول تحقيق عبد السلام هارون ، دار القومية العربية ١٣٧٤ .
الجمهرة ، لابن دريد ، حيدرأباد ١٣٥١ .
الحيوان ، للجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . الحلبى ١٣٥٧ - ١٣٦٤ .
خزائن الكتب العربية . للكونت فيليب دى طرازى . بيروت ١٩٤٨ م .
خطط المقريزى . النيل ١٣٢٢ .

الديارات ، للشابستى . تحقيق كوركيس عواد . بغداد ١٩٥١ م .
رسالة الجد والهزل ، (ضمن رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون) .
رسائل الجاحظ ، تحقيق الحاجرى وكراوس . لجنة التأليف ١٩٤٣ م .
رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . السنة المحمدية ١٣٨٥ .
سير النبلاء ، للذهبى (مخطوطة أحمد الثالث ٢٨٧ تاريخ بمعهد المخطوطات) .
السيرة لابن هشام ، تحقيق وستنفلد ، طبع جوتنجن ١٨٥٩ م .
شرح الحماسة ، للتبريزى .بتحقيق فريتغ . بون ١٨٢٨ م .
» » للمرزوقى تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٢ .
» القصائد السبع الطوال لابن الأنبارى . تحقيق عبد السلام هارون . المعارف ١٣٨٢ .
» نخبة الفكر ، لابن حجر . الخانجى ١٣٢٧ .
» نهج البلاغة ، لابن أبى الحديد . الميمنية ١٣٢٩ .
صبح الأعشى ، للقلقشندى . دار الكتب ١٣٤٠ .
الصلة . لابن بشكوال . مدريد ١٨٨٢ م .
العثمانية ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . دار الكتاب العربى ١٣٧٤ .
العققة والبررة ، لأبى عبيدة . مصورة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .
عيون الأثر ، لابن سيد الناس . القدسى ١٣٥٦ .
عيون الأخبار . لابن قتيبة ، دار الكتب ١٣٤٣ .
الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية .
قواعد التحديث ، للقاسمى . دمشق ١٣٥٢ .
مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف ١٣٦٩ .
المزهر ، للسيوطى . الحلبى ١٣٦١ .
مشارق الأنوار ، للقاضى عياض . السعادة ١٣٣٢ .
المطالع النصرية ، لنصر الهورينى . بولاق ١٢٧٥ .
معجم ما استعجم ، للبكرى . نشرة وستنقلد ١٨٧٧ م .
مقاييس اللغة ، لابن فارس . تحقيق عبد السلام هارون . الحلبى ١٣٦٦ .
مقدمة ابن خلدون . البهية ١٩٢٨ م .
الميسر والقداح ، لابن قتيبة . تحقيق محب الدين الخطيب . السلفية ١٣٤٢ .
نخب الذخائر ، لابن الأكفانى . تحقيق الأب أنستاس . العصرية ١٩٣٩ م .
نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام هارون . الحلبى .
الوزراء والكتاب ، للجهشيارى . الحلبى ١٣٥٧ .
وفيات الأعيان ، لابن خلكان . الميمنية ١٣١٠ .

مؤلفات ومحققات أخرى للمؤلف

تطلب من مكتبة الخانجى

مجلد		
١	الميسر والأزلام (بحث تاريخى ، اجتماعى ، أدبى لغوى) .	
١	تهذيب سيرة ابن هشام	
١	تهذيب إحياء علوم الدين ، للغزالى	
١	تهذيب الحيوان ، للجاحظ	
١	حول ديوان البحترى	
١	الأساليب الإنشائية فى النحو العربى (بحث مبتكر)	
٢	الألف المختارة من صحيح البخارى (اختيار وشرح وتخريج)	
١	قواعد الإملاء	
٨	الحيوان للجاحظ	
٤	البيان والتبيين ، للجاحظ	شرح وتحقيق
١	العثمانية ، للجاحظ	» »
٢	رسائل الجاحظ (١٧ كتابا ورسالة)	» »
٦	معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس	» »
٢	مجالس ثعلب	» »
٤	شرح الحماسة ، للمرزوقى	» »
١	وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم	» »
١	همزيات أبي تمام	» »
١	المصون ، لأبى أحمد العسكرى	» »
١	مجالس العلماء ، للزجاجى	» »
١	أمالى الزجاجى	» »
٢	نوادر المخطوطات (٤٢ كتابًا ورسالة)	» »
١	جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم	» »
٢	الاشتقاق ، لابن دريد	» »
١	شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الأنبارى	» »
٥	كتاب سيبويه مع فهارسه التحليلية	» »
١٣	خزانة الأدب ، للبغدادى	» »
٢	معجم شواهد العربية	» »
١	فهارس المخصص ، لابن سيده	» »
١	فهارس معجم تهذيب اللغة ، للأزهرى	» »